المحاضرة التمهيدية

محتوى المقرر

* الخلافة العباسية فى عهد المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧هـ)

(أهم ملامحها الداخلية والخارجية)(عصر تسلط الأتراك)

* الخلافة العباسية فى عهد المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ)

(أهم ملامحها الداخلية والخارجية)(حركة الزنج)

الخلافة العباسية فى عهد المعتضد (٢٧٩ – ٢٨٩هـ)

(ملامحها الداخلية والخارجية)(حركة القرامطة واضطرابات الشام)

* الخلافة العباسية فى عهد الراضى (٣٢٢ – ٣٢٩هـ)

(أهم ملامحها الداخلية والخارجية)(إمرة الأمراء)

أحوال الخلافة العباسية خلال عصر البويهيين

* دخول البويهيين إلي بغداد

* آثار السيطرة البويهية علي بغداد واقليم العراق

* محاولات بعض الخلفاء اصلاح الخلافة في هذا العصر "القادر بالله"

الخلافة العباسية في حقبة السيطرة السلجوقية

*** داخليا (القضاء علي حركة البساسيري ومقاومة الباطنية والقرامطة**

*** خارجيا (الجهاد ضد الروم وموقعة ملاذكرد)**

*** المظاهر العامة للحكم السلجوقي**

*** عصر الصحوة المؤقتة للخلافة العباسية**

*** سقوط بغداد وانهيار الخلافة علي يد المغول سنة٦٥٦هـ**

*** النتائج التي ترتبت علي سقوط الخلافة.**

توزيع الدرجات

==========

المحاضرة الاولى

* الخلافة العباسية فى عهد المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٥هـ)

عناصر المحاضرة:

* العنصر التركى وظهوره فى الدولة العباسية.

* الأتراك وتولى المتوكل الخلافة.

* محاولات المتوكل التخلص من سيطرة الاتراك.

* الخلافة العباسية بعد المتوكل

* العنصر التركى وظهوره فى الدولة العباسية.

* الاتراك وظهورهم خلال عهد الخليفة المأمون:

١- اسباب اعتماد المأمون على الاتراك.

* الاتراك وقوتهم خلال عهد المعتصم :

١- أسباب اختياره للعنصر التركى.

٢- بناء مدينة سامراء.

* الاتراك فى عهد الواثق: (مرحلة انتقالية)

* الأتراك وتولى المتوكل الخلافة.

* النزاع حول الخلافة (محمد بن الواثق – جعفر بن المعتصم)

* الاتراك وتولية المتوكل للخلافة

* المتوكل ونفوذ الاتراك:

(استقرار القادة فى سامراء – حادثة ايتاخ)

* محاولات المتوكل التخلص من سيطرة الاتراك.

١- التقسيم الادارى وولاية العهد

المنتصر (المغرب) ، المعتز (المشرق) ، المؤيد (جند الشام)

٢- نقل العاصمة من سامراء الى دمشق

٣- التخلص من المنتصر والاتراك

* الخلافة العباسية بعد المتوكل

* مقتل المتوكل وتولية المنتصر

* الاتراك والتحكم فى الخلفاء وقتلهم

(المستعين – المعتز – المهتدى)

==========

المرجع

- - العالم الاسلامي في العصر العباسي، حسن احمد محمود، احمد ابراهيم الشريف، دار الفكر العربي.
- فاروق عمر فوزي،الخلافة العباسية، السقوط والانهيار، ج (٢).

المحاضرة الاولى:

تمهيد

كان العصر العباسي الأول قوياً فلم تقم فيه سيطرة عسكرية أو زعامة دات قوة تعتمد عليها في حكمها للمنطقة، واذا ما تم وحدث نفس بعض القادة بذلك فقد كان يقضى عليها بسرعة، وهذا ما حدث لعبدالله بن علي، وأبي مسلم الخراساني، ولم تقم في ذلك العصر سوى دولة واحدة هي دولة الأغالبة في تونس، إذ كان ابراهيم بن الأغلب أمير المنطقة واعتمد على نفوده وجنده فأسس دولته، وسكت عنه العباسيون لتقف إمارته في وجه الامارات الاخرى الخارجة على العباسيين والمخالفة لهم، وهي إمارات الخوارج في "تاهرت" و":سجلماسة"، وإمارة الأدارسة في المغرب الأقصى في فاس، ودولة الأمويين في الاندلس، وبهدا فلم تقم سوى دولة واحدة في عصر القوة العباسي اعتمدت على الجند.

وشعر الخليفة المأمون أن بعض القادة الذين أصبح لهم نفود لم يعد بالإمكان وضع حد لهم بسهولة لذا فقد خاف مغبة الأمر، وفي الوقت نفسه فان الجند لم يعد بالإمكان السيطرة عليهم بيسر لأن الناس قد خلدوا إلى الراحة،

وركنوا إلى الأرض، وبقي أمر القوة بيد هؤلاء الجند لذا فقد طلب من أخيه المعتصم الإكثار من جلب الاتراك من بلاد ما وراء النهر على شكل مماليك فحياة المدن لم تفسد طباعهم بعد، ويمكن تدريبهم تدريباً عسكرياً كي يمكن تأمين الجند المطلوب عند اللزوم منهم، وتربيتهم تربية خاصة كي يكونوا أداة طيعة بيد الخليفة يحمي بهم الثغور، ويضرب بهم خصوم الدولة في الداخل، وبدأت أفواج الترك تفد إلى بغداد حتى ضج منهم سكانها، وما أن تصبحوا جنوداً لهم نفود حتى كثرت تعدياتهم فقد أفسدتهم حياتهم الجديدة، وحدث الخلاف بينهم وبين البغداديين، واضطر المعتصم إلى بناء مدينة"سامراء" والانتقال بهم إلى هناك، ومع الزمن أصبح منهم قادة اشتهر منهم "الإفشين" و"بغا" و"وصيف" وغيرهم، وزاد نفودهم في الدولة، وأخيراً تآمروا مع المنتصر على قتل أبيه المتوكل عام ٢٤٧ هـ فانتهى الحكم العباسي القوي وهو الدي وجاء عصر الضعف الدي نتحدث عنه حيث سيطر العسكريون على الحكم.

ومع مجيء هؤلاء الجند إلى مركز السلطة أصبحت الأمور بأيديهم، وبقي الخليفة اسماً أو صورة في قصره ليس عليه سوى التوقيع على التعليمات في كثير من الأحيان أو إصدار الأوامر حسب رأي القادة حتى وصف الخليفة أحد الشعراء فقال:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وفي هده المرحلة من تاريخ الدولة العباسية أصبح الحكم بالسيف لا بالرأي، والتنفيد بالسوط لا بالحكمة، والناس مجبرون على الخضوع سواء أكان الأمر حقاً أم باطلاً، وعليهم أن يقولوا عن كل شيء أنه حق وصحيح وجيد ما دام مفروضاً من القادة، ومن قال غير دلك كان السيف أقرب إليه من إجابته بالرفض، وهدا ككل حكم عسكري.

وهكدا فسد الوضع فلم يأمن الناس بعد ذلك على ارواحهم، ولا على أموالهم، ولا على أعراضهم، وهدرت الكرامة، وفقد الناس حريتهم، وضاعت العزة، واصاب الأمة الذل ومتى وقع دلك فقدت الأمة مقوماتها، ولم تعد قادرة على القتال ولا على المجابهة، وأصبح المجتمع مضطراً للخضوع للقادة المتسلطين، وقبول كل رأي يقوله العسكريون، وهذا ما يريدونه عادة ولم يعرفوا نتائجه، وإنما يعرفون مصالحهم وبسط نفودهم وسيطرتهم وإشباع رغبات نفوسهم، وهذا في الداخل، وهو نفس ما يريده أعداء الإسلام في الخارج، ولا يختلف الوضع العسكري في أي زمان ولا أي مكان عن هدا أبداً.

لما أعتمد المعتصم على جند المشارقة الذين عرفوا في مصادرنا " بالأتراك " أحدث انقلاب توارثته العهود التي تلته حالة من الفوضى العسكرية ، وتميزت بقتال مرير ومعقد بين القوات المسلحة في العاصمتين " بغداد وسامراء " وفى مابين القوات نفسها ، وظهر على مسرح الأحداث أسماء مشرقية عديدة من القواد ، زاد خطرهم لاعتماد خلفاء هذا العصر عليهم في ردع الخارجين من النزاعات الإقليمية ، مما أدى إلى زيادة طموحاتهم وزاد خطرهم بتسلطهم على الخلافة وبذا أصبحوا خطرا يهدد مركز الخليفة وحياته .

ولم يقتصر هذا النفوذ على عاصمة الخلافة بل تعدها إلى الولايات حينما بدأ خلفاء هذا العصر منح قادتهم العسكريين " أقطاعات " من الأراضي تغطي نفقاتهم " الشخصية " أو لإغرائهم بالانتقال إلى مناطقهم الجديدة التي يعينون بها لأداء مهمات إدارية أو عسكرية . وقد أتاح هذا النظام مع مرور الوقت الفرصة للقادة " بالانفصال بولاياتهم " ، وبذلك انتقل " الحكم من المركزية إلى اللامركزية " ، وقد تولى الخلافة خلال هذه الفترة خمسة خلفاء من سنة ٢٣٢ - ٢٥٦ هجرية

هم : المتوكل ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتز ، والمهتدي في عهد كل هؤلاء وضع القادة العسكريون من الأتراك المشارقة أيديهم على جميع مقدرات الخلافة ، وبسطوا نفوذهم على كافة أقاليمها .

بيعة المتوكل : بويع المتوكل بالخلافة بعد وفاة آخيه الواثق ، وكان عمره ٢٦ سنة، فقد مات الواثق ولم يوصى بخليفة فنشب صراع حول الحزبين المدني والعسكري أدى في نهاية المطاف إلى تولية المتوكل "خليفة " ولقب بالمتوكل على الله

* الخلافة العباسية فى عهد المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٥هـ)

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع، ولد في شوال ٢٠٦هـ، بفم الصلح ولم يكن بالمرضى عنه في حياة أخية الواثق. ولما توفى الواثق ولم يعهد إلى أحد بالخلافة اجتمع كبراء الدولة ومنهم (ابن ابي داؤد القاض، ومحمد بن عبد الملك الوزير وعمر بن فرج واحمد بن خالد الكاتبان وايتاخ ووصيف وغيرهم وبع مداولات كثيرة اتفقوا على جعفر بن المعتصم واحضروه فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه وقبله بين عينيه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه الحاضرون ولقب بالمتوكل على الله ثم بايعته العامة وتم ذلك في اليوم الدي توفى فيه الواثق ٢٤ دي الحجة سنة ٢٣٢هـ.

سياسة المتوكل الداخلية

- حكم المتوكل مايقرب من ١٥ سنة .
- أهم أعمال المتوكل : أنه أبطل النقاش حول القول بخلق القران .
- تعصب المتوكل لأهل السنة والجماعة .
- اضطهد " آل علي " لميل المعتزلة لهم .
- تشدد مع الفئات غير المسلمة وفرض الضريبة عليهم .

- عزل الوزير الزيات الذي شغل منصب الوزارة مدة ١٢ سنة.
- استبدل موظفي الوزير ابن الزيات برجال متدربين في الدواوين ورأس عليهم " محمد بن الفضل الجر جرائي "
- أعاد ضريبة العشر التي ألغاها ابن الزيات من السفن الواردة من والى الخليج لإفادة الجميع وليس فقط ذوي المناصب .
- أما في الجيش فقد حد من تسلط القواد ، فجعل الجيش وحدة واحده تحت سلطته مباشرة .
- بدأ باعتقال " إيتاخ " الذي كان مسئولا عن الجيش والبريد ودار الخلافة وسجنه في بغداد.
- عهد بولاية العهد إلى أبنائه الثلاثة مع أن أكبرهم كان لم يتجاوز ١٣ سنة ولقبهم بالألقاب وقسم عليهم البلاد وهم :
- محمد : ولقبه " بالمنتصر". وولاه " المغرب "
- وأبو عبد الله " ولقبه " بالمعتز " . وولاه " المشرق "
- وإبراهيم ولقبه " بالمؤيد " . وولاه أجناد حمص ودمشق وفلسطين .
- ثم أضاف لابنه " المعتز " خزائن الأموال في جميع البلاد ، ودور الضرب ، وأمر أن تضرب الدراهم باسمه .

وكان المتوكل على يقين بان أولاده قصر لايستطيعوا تحمل المسؤولية لذلك أضعف جيش " سامراء " فقسمه إلى ثلاثة أقسام ووضع على كل قسم قائد عسكري يرافقه إداريون مختلفون ، وأرسل كل قسم مع ولاة العهد الثلاثة إلى المناطق التي ولوا عليها ، على أن يبقى المتوكل المسئول الأول عليها ولهذه السياسة سلبيات منها .

- زيادة تفعيل " نظام الاقطاع " حتى يرغب القادة للانتقال إلى مناطق عملهم الجديدة ، والابتعاد عن مركز الحكومة .
- ضعفت الحكومة المركزية من هذه السياسة وبدأ القواد بالاستقلال بولاياتهم ، لبعده على الإشراف عليهم .
- قام بعزل " الجر جرائي " ، واستوزر " عبد الله بن خاقان " ليضعف القادة العسكريين المشارقة فقد عرف عن هذا الوزير ولائه للعباسيين ، فقام الوزير بتجنيد جيش نظامي جديد ليس من المشرق بل من كل الأقاليم بما فيهم أبناء العباسيين ، على أن يخضع مباشرة للخليفة المتوكل وسماهم " الشاكرية " وكان عددهم ١٢ ألفا .

نقل المتوكل عاصمته إلى " دمشق " ليبتعد عن المشارقة ويكون بين أهلها العرب ، لكن القواد العسكريون أعلنوا الثورة عليه ، وأجبروه على الرجوع إلى " سامراء " فبني مدينة " الجعفرية " على اسمه لان اسمه جعفر بن المعتصم ، ولقب بالمتوكل على الله ، ونقل إليها الدواوين وجعلها مقر حكمه . لكن هذه المدينة فقدت أهميتها لافتقارها من المياه .

الحركات الانفصالية في عهد المتوكل

انتفاضة أهالي أذربيجان :

ثار على المتوكل احد قادة العرب وهو " محمد بن البعيث " الذي ساند بابك ألخرمي في أذربيجان فهرب من السجن وعاد أذربيجان وجمع مؤيدوه وخواصه من أعراب قبيلة ربيعة وأعلن " العصيان " ولم يستطع والي أذربيجان القضاء عليه فأرسل له المتوكل عدد من الحملات كان آخرها حمله يقودها " بغا ألشرابي " الذي استطاع اسر هذا الثائر ، ودخل به " سامراء " ومعه بقية الأسرى ، فعفا عنه المتوكل والحق أبنائه الثلاثة في فرقة " الشاكرية " التي نظمها ابن خاقان

وفي أرمينيا : فقد ثار أهاليها على الوالي وقتلوه واشترك في قتله " الأرمن والعرب " وتزعم بدلا من الوالي احد البطارقة الأقباط واسمه " بقراط بن أشواط " .

إن دخول العرب في هذه الثورة يعني أن سببها اقتصاديا بالدرجة الأولى ولم يكن مذهبيا وذلك لتعسف الولاة في جمع الضرائب .

لذلك أرسل المتوكل " بغا ألشرابي " فبذل جهدا وقضى على هذه الثورة.

تمرد أهل حمص : ثار أهل حمص مسلمون ومسيحيون وأخرجوا من حمص " عامل المعونة وصاحب الخراج "

وكان السبب أن اشتطوا في جمع " ضريبة العشر " التي فرضها المتوكل على منازل المسيحيين ، فاتخذوا سياسة تعسفية في جمع الضرائب من سكان حمص جميعا .

فعزل المتوكل عامل حمص واستبدله بغيره ، إلا أن العامل الجديد لم يكن بأفضل فقد سامهم سوء العذاب وفعل بهم الأعاجيب ، فعادوا وتمردوا لذلك اخرج المتوكل المسيحيين من حمص ، وحارب كل من تسبب في الشغب .

سياسة المتوكل الخارجية

العلاقات مع البيزنطيين : في عهد المتوكل أغار البيزنطيين على مدينة " دمياط " بمصر في وقت طلب والي مصر من الجند الحضور للاحتفال بالعيد في " الفسطاط " فتركت المدينة بدون حامية ،فاستغل البيزنطيون الفرصة وأشعلوا النيران في دمياط واسروا وسبوا عدد من الرجال والنساء وعادوا إلى بلادهم . فتنبه المسلمون وسارعوا في تحصين السواحل " السورية والمصرية " ، " وبنوا أسطولا بحريا جديدا " ليس للدفاع ولكن للهجوم على البيزنطيين أيضا .

مقتل المتوكل

شعر الجند الاتراك بالحد من نفوذهم . والتخلص من قادتهم . وإبعاد بعضهم إلى"سامراء". وفقدهم لممتلكاتهم التي صودرت. لذلك عزموا على قتل المتوكل فتحركوا سريعا وقتلوه ليلة الخميس رابع شوال سنة٢٤٧ هـ .

كان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين، فلم يقتل خليفة منهم من قبل الا الامين الدي قتل بعد هزيمته في الحرب. ولم يكن قتل الخليفة إعتداء على المتوكل وحده، بل كان قتلا لسلطان كل خليفة بعده، ولم يكن قتلا بيد باغر التركي وحده وانما كان بيد الأتراك. وكان في قتله تثبيت لسلطان الأتراك ونفودهم، وانذار للبيت العباسي كله أنه من أراد أن يلي الخلافة فليذعن اذعانا تاما لرغبة الاتراك أو فليوطن نفسه على القتل. وهكذا كان مصرع الخليفة المتوكل مصرعا لسلطان الخلافة ومجدا للأتراك فلم يعد للخليفة معهم شئ الا مظهر اسمي اقتصر على السكة والخطبة.

==========

المحاضرة الثانية

الخلافة العباسية فى عهد المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ)

عناصر المحاضرة:

الموفق وسيطرته على شئون الخلافة

الاخطار التى واجهت الخلافة العباسية:

ثورة الزنج

المتغلبون

* الموفق وسيطرته على شئون الخلافة

خلافة المعتمد ٢٥٦-٢٧٩هـ

يبدأ هذا العهد بخلافة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ) ولكن المعتمد لم يكن هو صاحب الفاعلية في هدا الانتعاش الذي ظهر في الخلافة العباسية، فقد كانت السلطة الحقيقية في يد أخية أبي أحمد طلحة الموفق، فهو رجل الدولة الحازم الدي جمع الأمور كلها في يده، بل أن المعتمد أصبح كالمحجور عليه، تدار الأمور باسمه، ويستخدم منصبه للتأثير الروحي اذا لزم الأمر، فيظهر الخليفة بشخصه في بعض المواقف ليعطى ظهوره أثرا روحيا إلى جانب الأثر المادي القوى الذي يعطيه غيره، كما حدث في القتال الذي وقع بين الخلافة وبين يعقوب بن الليث الصفار، الذي زحف بجيوشه إلى العراق، فكان ظهور الخليفة في طليعة الجيش العباسي لمجرد التأثير على جنود الصفار بأنهم يقاتلون الخليفة صاحب السلطان الشرعي.

وتخاذل كثير من جنود الصفار عنه. لكن القيادة الحقيقة كانت للموفق، والحقيقة أن المعتمد لم يكن بمستوى الاحداث التي تعرضت لها الخلافة، فقد كان همه منصرفا إلى اللهو والانغماس في الملذات، كما حاول بعض الاحيان أن يعرقل أعمال أخيه الموفق لإعادة هيبة الخلافة وتقوية قبضتها على ولاياتها، وذلك حين خضع لاغراء أحمد بن طولون والى مصر بالخروج إلى مصر بحجة أن الموفق قد حجر عليه وسلبه سلطانه، فالفضل أذن للموفق في القوة التي عادت إلى بيت الخلافة.

هددت الخلافة العباسية في خلافة المعتمد اخطار جسيمة، وكان من أبرز هذه الاخطار ثورة الزنج والمتغلبون.

ثورة الزنج ٢٥٥-٢٧٠هـ

الزنج من العناصر السوداء التي كثرت في العراق، وكانوا يجلبون في الأكثر من سواحل افريقيا الشرقية، يستخدمهم الناس في أعمال الخدمة، وكان أعتمد عليهم ملاك الأراضي وأصحاب الاقطاعات في الزراعة وفي اصلاح الأراضى التي تحتاج إلى اصلاح، وكانوا يقومون بعمل شاق ولكنهم لا يجدون رعاية أو شفقة من سادتهم. وقد كثر عددهم إلى حد كبير، ولا أدل على كثرتهم وخطرهم من ثورتهم التي قاموا بها، وهددوا بها الدولة العباسية لاكثر من أربعة عشر عاما (٢٥٥-٢٧٠هـ).

وكانت مناطق نفوذ الزنج المنطقة الممتدة بين البصرة وواسط، وكانت حربا بين الاجناس، بين البيض والسود، فقد ثار الزنوج الذين كانوا يعملون في اصلاح الأراضي السبخة حول البصرة، وانضم اليهم جماعات من العبيد هربوا من القرى والمدن المجاورة، وانضموا لهذه الحركة تخلصا من حالتهم السيئة.

ودعا لهذه الحركة رجل مغامر استغل الحركات المذهبية التي ظهرت في بعض أجزاء العالم الاسلامي، والتسلط التركي على الخلافة مما أدى إلى اضعافها والتي ادت الى سوء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية، وانصراف القادة الاتراك لجمع المال والحصول على الاقطاعات الكبيرة،مع عدم التفاتهم لتنمية الثروة العامة للدولة باصلاح المرافق وتحسين الانتاج لذلك كان الجو مهيأ لكل مغامر يستطيع استغلال هذه الاحوال. وادعى هذا المغامر أنه ينتسب إلى علي بن أبي طالب، فزعم انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، واكثر المؤرخين يرون انه من قبيلة عبد القيس العربية، وبعضهم يقول انه فارسي، بدأ حركته متنقلا بين البحرين والبصرة وبغداد، وبين أهل البادية يدعو ويدلس على الناس باصطناع الكرامات، لكنه لم يستطع أن يحقق لنفسه شيئا، اذ طارده عمال الدولة وانكشف أمره، فتفرق عنه الناس وتجنبت صحبته، فلما تفرقت عنه الناس لجأ الى منطقة البصرة واخذ يدرس احوال العمال الذين يعملون في الاراضي.

ومن هؤلاء العمال فوجد فرصته بينهم، وكان ملاك الاراضي يملكون كثيرا من العبيد يستخدمونهم في اصلاح الاراضي السبخة، وهو عمل شاق يقومون به ولا يجدون عليه مكافأة الا القوت الضئيل من الدقيق والتمر يجلبه لهم سادتهم. مما مهد الطريق لهم لمتابعة من يخلصهم من هذه الحالة التي يعيشون فيها، واستطاع هذا المغامر الذي لقب بصاحب الزنج أن يؤلب هؤلاء العمال، وأتاهم من الناحية الفعالة في النفوس وهي الناحية الدينية، فادعى انه رسول العناية الالهية لانقاذهم مما يعانونه من البؤس، كما أدعى العلم بالغيب وانتحل النبوة. التف حوله عدد كبير من العبيد ومن المغامرين فدعاهم للخروج على السادة الظالمين ووعدهم ان يقودهم ويملكهم الاموال، وحلف لهم الايمان الغلاظ الا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الاحسان الا اتى اليهم به. والواقع انه وفى لتابعيه بما وعد ولذلك التفوا حوله وناصروه، وقاتلوا في سبيلة قتالا شديدا. كانت حركته الاولى ضد الملاك من أصحاب الاراضي. وكان كل من يقع في يده من هؤلاء السادة مالكي العبيد يسلمه لعبيده ويأمرهم بضربه.ثم اعلانها ثورة ضد الرق ودعا الى تحرير العبيد.

استهوت هذه الدعوة العبيد في كل منطقة العراق الجنوبية، فكانوا يتركون سادتهم ويسرعون اليه تخلصا من الرق والعبودية وبذلك كثر اتباعه وعظم شأنه وقويت شوكته، ولكنه تناقض مع مبدئه تناقضا عجيبا، فكان يستبعد أسراه من البيض بل خير البيض، وصاحب الزنج لم يكن صاحب مبدأ وانما كان صاحب طموح يستخدم له من الشعارات ما يساعد على تحقيقه، ويعمل في سبيل ذلك من الاعمال ما يحقق غرضه حتى ولو اوقعه ذلك في التناقض او الصق به صفه الخسة والنذالة فقد كان يفاخر بأنه ينتسب الى علي وفاطمة الزهراء، ومع ذلك كانت نساء من العلويات يستعبدون وتنتهك اعراضهم بامره وتحت عينه. بهذه التناقضات كشف صاحب الزنج عن ميوله الحقيقة. حتى ان اعداءه لقبوه بالمدعى كما سموه بالخبيث وعندما زاد عدد اتباعه بنى لنفسه مدينة سماها "المختارة".

وانتشرت جيوش صاحب الزنج في العراق وخوزستان والبحرين، فتملكوا "الابلة" و "عبادان" والاهواز ثم البصرة وواسط، والنعمانة وقد استخدموا العنف مع خصومهم فكانوا يقتلون كل من وقع في ايديهم سواء من المقاتلة او غيرهم، ومن ينج فظائعهم حتى النساء والاطفال.... واشاعت جنود الزنج الرعب في قلوب الناس وتقدموا في العراق حتى اصبحوا قاب قوسين او ادنى من حاضرة الخلافة، وحاول الخلافة المهتدى القضاء على صاحب الزنج حيث ارسل له بعض قادته من الاتراك غير انه لم يستطع القضاء عليه. وفي هذه المدة من تاريخ الدولة العباسية ظهر المتغلبون في الولايات الشرقية وحاولوا الانفصال عن جسم الدولة العباسية واصبحت المنطقة الشرقية مسرحا لكثير من المنازعات والحرب بين هؤلاء المتغلبين، والخلافة كانت عاجزة عن الاطاحة بهؤلاء الذين يرغبون بالانفصال عن الدولة العباسية. نتيجة لانتصارات الزنج وكثرة المتغلبين على نواحى المشرق عجز القواد الاتراك وبذلك انكسرت شوكتهم، واتيح للخلافة أن تأخذ زمام الامر بيدها، واستدعى المعتمد اخاه الموفق من منفاه في الحجاز وجعل اليه امر المشرق كله كما جعله ولي العهد الثانى بعد ابنه جعفر.

بدأت الخلافة تسترد نشاطها وفعاليتها، واخذت تعمل على تقوية نفوذها على ولايتها، فقد قبض الموفق على ناصية الامور في الدولة، وبدأ يعمل لتأكيد سلطان الخلافة على أقاليمها في الشرق والغرب.

فاما في المشرق فقد نهض لقتال يعقوب الصفاري بن الليث الصفار الذي تغلب على معظم الشرق، وأجبر الخلافة على ان ترسل اليه التقليد بولاية خراسان وجرجان والرى وفارس كما توليه شرطة بغداد، ولكنه طمع في دار الخلافة، وخرجت جيوش الخلافة بقيادة الموفق، وخرج الخليفة بنفسه معها ليكون لوجوده أثره الروحى على جنود الصفار، اذ انهم حين يرون الخليفة مع جيوش الموفق يرون ان صاحبهم خارج على السلطة الشرعية، على امير المؤمنين، وفعلا حدث هذا الاثر وبخاصة ان جنود الصفار لم يكونوا من المرتزقة وانما كانوا من الرجال المتطوعين الذين راوا خروج المتغلبين على الخلافة فقاموا ليدفعوا عنها وليردوا اليها سلطانها، ووجود الخليفة نفسه بين الجند يناقض دعوة الصفاري، لذلك حين التحم القتال تخلى كثير من جند الصفار عنه وانضموا لجيش الخلافة، وادى هذا الى انهزام الصفار ورجعت سلطة الخلافة العباسية على الشرق.

أما في المغرب الاسلامي، فان مصر والثغور الشامية كانت في يد أحمد بن طولون منذ حوالي ٢٥٤هـ، وكان شبه جزيرة مستقل بشئونها عن الخلافة. ولما كانت موارد المشرق قد نفذت أو كادت لما حل ببلاد المشرق من البلاء على أثر الحروب المتصلة التي شنها صاحب الزنج، والتي كانت دائمة بين أصحاب المطامع من المتغلبين. فقد ارسل الموفق الى احمد بن طولون يأمره بأن يمده بالمال الذي يساعده على قتال الزنج. ومع ان احمد بن طولون ارسل الى الموفق مليونا ومائتي الف دينار، الا أن الموفق أحس بأن ابن طولون يتصرف تصرف المستقل الذي يعين متبرعا ولا يطيع أمرا، فراى أن يلزمه طاعة الخلافة، فعزله عن ولاية الثغور الشامية. ثم امر بصرفه عن ولاية مصر. ولكن ابن طولون كان من القوة بحيث لم يكن في الامكان القضاء عليه. ورد جيوش الخلافة عن الشام بل كاد ان يوقع بين الخليفة واخية الموفق لكن الاخير نجح في في احباط مشروعات ابن طولون مع الخليفة. ثم استطاع ان يزعم الطولونيين بعد وفاة احمد بن طولون على الاقرار بسلطان الخلافة، وتضمن كتاب الصلح بين خمارويه بن احمد بن طولون وبين الخلافة ان يتولى خمارويه واولاده من بعده على مصر والشام ثلاثين سنة.

بعد هذه الاعمال التي قام بها الموفق تفرغ لقتال صاحب الزنج وزاوج بين اسلوبي الحرب والسياسة، وخرج من بغداد الى واسط سنة ٢٦٧هـ والتحم بقوات صاحب الزنج واوقع بها الهزائم المتتالية حتى اجلائهم عن الاحواز، وحاصر مدينتهم المختارة وبنى بازائها مدينة سماها الموفقية نسبة الية. واعلان عن الامان لكل من يأتيه من رجال صاحب الزنج، فتخلى كثير من الناس عنه وانضموا للموفق، فأمنهم وعفا عنهم واحسن معاملتهم وظل الامر كذلك حتى سقطت مدينتهم وعاد الناس الى قراهم بعد ان تخلصوا من الاسر والرق وفي صفر سنة ٢٧٠هـ قتل صاحب الزنج وبذلك تكون حركته في انتهت بعد ان اقلق الدولة العباسية مدة ليست بالقليلة.

كان الموفق ذا شخصية قوية وقد اكتملت له التجربة في القيادة منذ عهد المعتز وفي عهد المعتمد صارت له الكلمة العليا بين الاتراك بعد ان انهكهم التفكك وقلت بايديهم الأموال، واستطاع الموفق بضربه للصفارين وبحده من غلواء الطولونيين، وقضائه على حركة صاحب الزنج وسيطرته الناجحة على الاتراك ان يعيد للخلافة العباسية هيبتها.

مات الموفق في عام ٢٧٨هـ بعد الأعمال الجليلة التي قام بها، فبايع الخليفة المعتمد لابنه العباس بولاية العهد الثانية مكان أبيه، وتحولت إليه سلطات أبيه، فسار على النهج الذي سار عليه أبوه، ولما كان الخليفة قد وصل إلى حد كبير من ضعف الشأن في حياة الموفق الذي لم يبق له من الخلافة الا اسمها، فقد ضعف أمره وأمر ابنه المفوض الذي كان ولي العهد الأول، والذي لم يبرز في مجال هذا الصراع الذي احتدم بين الخلافة وخصومها طوال الثلاث والعشرين سنة التي مرت على خلافة المعتمد، لذلك اضطر الخليفة أمام قوة أبي العباس الذي لقب بالمعتضد إلى خلع ابنه عن ولاية العهد وبايع لأبي العباس المعتضد، ثم ما لبث أن مات فجأة بعد شهور.

==========

المحاضرة الثالثة

* الخلافة العباسية فى عهد المعتضد (٢٧٩ – ٢٨٩هـ)

عناصر المحاضرة:

* الخلافة العباسية فى عهد المعتضد

* الخلافة فى عهد المكتفى

* أحوال الخلافة العباسية حتى تولى الراضى.

الخلافة العباسية فى عهد المعتضد (٢٧٩هـ-٢٨٩هـ)

بويع المعتضد بالخلافة سنة ٢٧٩ هـ وسار على نهج أبية الموفق في الحزم والعزم، كما سار مسلكه في حسن السياسة والعدل، وكان حازماً مع قواده شديد الوطأة عليهم، أذا غضب على قائد آمر بالقائه في حفرة وردم عليه، حتى هابوه هيبة عظيمة، وبهذا العمل اسكت الاتراك فلم يجرؤ واحد منهم على اسخاط الخليفة أو احداث شغب، وكان سريع النهضة للخارجين على سلطان الخلافة، يخرج بنفسه للحرب ليستعيد السيطرة على الخارجين وليشعرهم بقوة الخلافة. **وفي ايامه ظهر القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي،**

كما ظهر ابن حوشب في بلاد اليمن حيث نشر الدعوة للمهدي الفاطمي وابو عبدالله الشيعي يدعو للفواطم في المغرب ولكنه مع ظهور كل هؤلاء المتغلبين من الصفاريين أو السامانيين، استطاع ان يقر هيبة الخلافة، وان يسكن الفتن في ايامه، وكانت الخلافة في عهده أعظم هيبة وأكثر انتعاشا منها في عهد المعتمد، وذلك لان المعتمد استفاد من جهود ابيه، وواصلها هو في خلافته، فبقيت للخلافة في عهده السيطرة القوية الناجحة. **وكان المعتضد عادلا رفع الظلم عن رعيته واسقط المكوس، وابطل ديوان المواريث وأمر بأن يورث ذوو الأرحام فأحبه الناس، وكان مقتصد في المال**، ولذلك عندما مات كان ببيت المال تسعه الآف آلف من الذهب ومن الورق أربعون الف الف درهم.

*** الخلافة في عهد المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ)**

خلف المكتفى أباه المعتضد (٢٨٩-٢٩٥هـ) وقد سار على نهج أبيه ولكن الفتن التي كانت قد بدأت في عهد أسلافه استفحل أمرها في عهده، ومنها الاسماعيلية، والقرامطة، والفاطمية، وبذل المكتفى جهده لقمع هذه الفتن فنكل بالقرامطة الذين ظهروا بالشام وعاثوا فيه فسادا، ثم اقر سلطان الخلافة على الشام كله، وأزال دولة بني طولون عن عصر مصر وأعادها ولاية تخضع مباشرة للخلافة، وكانت أحوال الخلافة **لكن العمر لم يمهل المكتفى فمات ولم يمضي ست سنوات وهو بالخلافة.**

وبموته عادت الخلافة الى ضعفها، وعاد الاتراك الى قوتهم. فلقد **أخضع الموفق وابنه المعتضد الاتراك وكبحا جماحهم**، وجعلا منهم خداما للدولة كما كان شأنهم في عهد المعتصم والواثق. والحقيقة ان اصلاح امور الدولة مع وجود هذا العنصر لم يكن يحتاج الا الى الحزم المقرون بسعة الافق، وقد كان اكثر الخلفاء ممن سبقوا الموفق اما مندفعين متهورين كالمهدي أو ضعافا متخاذلين كالمستعين. كما كان البيت العباسي مفككا يعمل أمراؤه للوصول إلى السلطة فمكنوا الاتراك من بعضهم واعانوهم بطريق مباشر أو غير مباشر على التسلط على الخلفاء، ولم يتح للخلافة رجل حازم من رجال البيت العباسي طوال المدة التي سبقت خلافة المعتمد، فلما وجد هذا الرجل في شخص الموفق عاد الاتراك الى خدمة الدولة والى طاعة الخلفاء، ولكن **موت المكتفى كان ضربه للخلافة كما كان فرصه لعودة الاتراك.**

أحوال الخلافة العباسية حتى تولى الراضي.

أحس الاتراك والوزراء الطامعون في الاستئثار بالسلطة ان الأمر لا يستقيم لهم مع خلفاء اقوياء من امثال المعتضد والمكتفى، فعملوا على اختيار الخلفاء من الامراء الضعاف من البيت العباسي، ليعود إلى ايديهم السلطان وتتم لهم الرياسة. **ووقع الاختيار على صبي لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً، فولوه الخلافة ولقبوه (المقتدر)** وحكى مسكويه ان وزير المكتفى العباس بن الحسن استشار ابن الفرات فيمن يلي الخلافة فقال له" **اتق الله ولا تنصب في هذا الامر من قد عرف دار هذا، ونعمه هذا، وبستان هذا، وجارية هذا، وفرس هذا، ومن لقى الناس ولقوه، وعرف الأمور، وتحنك وحسب حساب نعم الناس، فقال الوزير بمن تشير؟ قال ابن الفرات: بجعفر ابن المعتضد فقال الوزير جعفر صبي قال ابن الفرات، الا انه ابن المعتضد. ولم تجىء برجل يأمر وينهى، ويعرف مالنا. وبمن يباشر التدبير بنفسه، ويرى أنه مستقل؟ ولم تسلم هذا الأمر إلى من يدعك تدبره أنت؟".**

وهكذا عمل الاتراك على اعطاء الخلافة لم لا يستحقها حتى تكون لهم الأمر وله مجرد اللقب، كما رسموا سياستهم بعد ذلك على افساد تربية الامراء العباسيين الذين يعدونهم لتولى منصب الخلافة، حتى ينشأ الواحد منهم جاهلا غرا، فينصرف إلى لهوه لأمور ولذته، ويترك لهم زمام الأمور والتصرف في شئون الدولة.

واصبح الامر والنهى بيد امه و(مؤنس التركي) التي ازداد نفوذهما، وبلغ من تسلطهما أن عينو قهرمانتها صاحبة للمظالم، وكانت أمة تتدخل بتولية الوزراء وعزلهم لذلك نرى عدد غير قليل من الوزراء في عهد المقتدر بسبب تدخل أمه في شؤون الوزارة. وفي أيامه انتشرت الفتن في الداخل والخارج. فقد خرج عليه مؤنس الخادم سنة ٣١٧هـ وثار عليه رجال الجيش، لما رأوا من اشراف الحاشية والخدم وضياع الأموال وافساد الحكم بسبب تدخلهم في أمور الدولة، فخلعوه وبايعوا محمد المعتضد ولقبوه بالقاهر بالله. لكن فرصة خلع الخليفة وبيعة أخية لم تحقق للاتراك ما كانوا يريدون من أموال، فعادوا مرة اخرى يخلعون القاهر ويعيدون المقتدر الذي باع في خزائنه من الامتعة والجواهر ليرضي طمع هؤلاء الذين لم يكن همهم الا المال.

وصف موير حال الدولة العباسية في عهد المقتدر فقال" ان عهد الخليفة التعس قد هوى بالدولة الى الحضيض، فقد ضاعت ممتلكاتهم في الخارج: فضاعت أفريقية، وأوشكت مصر أن تضيع، واستقل أمراء بني حمدان بالموصل، واستطاع البيزنطيون ان يشنوا غاراتهم المتصلة على الحدود التي ضعف الدفاع عنها ومع ذلك بقى شئ من الاعتراف بسلطان الخلافة في البلاد الشرقية، حتى بين اولئك الامراء الذين نادوا اخيرا باستقلال ولاياتهم. أما في الاراضي القريبة من حاضرة الخلافة فقد اخمدت ثورات القرامطة المخيفين الى حين، وفي بغداد نفسها صار الخليفة المقتدر، الذي كان آلة في ايدى رجال البلاط المفسدين ذوي الاطماع الدنيئة، تحت رحمة حراسة من الاجانب الذين اصبحوا يأتمرون الى حد كبير بأوامر القواد من الاتراك وغيرهم، الذين لا يمتون الى العباسين بصلة والذين كانوا يشعلون نار الثورة من حين الى حين،

واذا علمنا ان هذا الخليفة التعس قد غلب على امره وخلع مرتين وذبح في النهاية عندما حاول مقاومة احد قواده المخلصين لعرشه. فلا عجب ان تلاشت تلك الهيبة التي عمل اسلافه القريبون على استعادتها. وغدا العرش مرة ثانية هدفها للازدراء في الداخل وفرصة سانحة تحمل على اغراء المغيرين على الدولة من الخارج. اضف الى ذلك ان الشعب قد فسدت اخلاقه ولم تعد بغداد بعد ذلك المكان الذي يضم رجالا أقوياء يدافعون عن بلادهم، بل يحكمون انفسهم اذا دعت الحال الى ذلك، وانما اصبحوا الان احزابا وشيعا متطاحنة تستطيع أن تخضب الطرق بالدماء"

قتل المقتدر وبويع لاخية القاهر مرة اخرى ولم تكن خلافة القاهر باحسن من خلافة المقتدر بل ازداد الأمر سوء وفساد وكان القاهر شديد القسوة على خصومة وكان يرى في القادة الأتراك اعداء للدولة، وزاد في القابه **"المنتقم من اعداء الله ونقش ذلك على السكة"** ورغم قوة القاهر وقسوته فان قواد الأتراك قبضوا عليه وخلعوه وسملوا عينيه ولم يسمل قبله احد من الخلفاء **وبايعوا بعده الخليفة الراضي** (٣٢٢-٣٢٩هـ).

==========

المحاضرة الرابعة

: الخلافة العباسية فى عهد الراضى (٣٢٢ – ٣٢٩هـ).

عناصر المحاضرة:

التغييرات التى حدثت فى الخلافة خلال عهد الراضى

١- منصب الوزارة

٢- أحوال الاتراك

منصب أمير الأمراء:

١- أسباب ظهوره

٢- تطور المنصب

التغييرات التى حدثت فى الخلافة خلال عهد الراضى.

بعد سمل عيون القاهر بايعوا الراضي وحدث تطور جديد في شوؤن الحكم: في مركز الخلافة، وفي وضع الوزارة وفي وضع الاتراك، وانتهى هذا الامور بقدوم عنصر جديد آخر استولى على مقاليد الأمور وسيطر على الخلفاء فلم يكن لهم الى جانبه شئ من السلطان، وهذا التطور هو ظهور منصب جديد في الدولة العباسية وهو أمير الأمراء الذي انتقلت الى يده كل مسؤولية سلطات الخليفة، واصبح منصب الخليفة مجرد رمز تدار الأمور باسمه من غير الرجوع الية في شئ.

منصب الوزارة.

الاتراك لم يقنعوا بسيطرتهم على الخلفاء هذه السيطرة المتجبرة التي تصرفوا بها في منصب الخلافة ولاية وعزلا وسجنا وسملا، وانما ارادوا أن يمدوا سلطانهم الى المناصب منصب الادارة والمالية بصفة خاصة. وفي مقدمة هذه المناصب منصب الوزارة الذي أصبح في هذا العهد محنة لمن يتولاه، بسبب ما ينتظره من عزل وسجن ومصادرة. واذا كان الخلفاء قد تعرضوا لما تعرضوا له فمن باب اولى تعرض الوزارء لمثل هذه المحنة في هذا العهد الذي كثرت فيه المحن. تغير منصب الوزير في هذه الفترة عما كان عليه من اختصاص، ومن وضع الى جانب الخلافة، وتركز عمل الوزير في هذا العصر في الأشراف على الأموال ومحاولة الحصول عليها بكل الوسائل لسد حاجة الاتراك وكبار قوادهم.

ونتيجة للحالة التي وصلت اليها الدولة من الاضطراب والثورات اصبح منصب الوزير فيه صعوبة خصوصا انه لم يعد يلبي حاجة القادة الاتراك من الاموال بسبب ضعف خزينة الدولة، لذلك اصبح الوزير عرضة للتنكيل والمصادرة. وكثر عزل الوزراء في هذه الفترة مثال على ذلك شهد عصر المقتدر تغير اثنى عشر وزيرا. وتدهورت مكانة هذا المنصب وانحطت منزلته، وغدا الوزير غير قادر على البقاء فيه فترة تكفي للشروع في أي اصلاح يعود على الدولة بشئ من الفائدة ، واي وزير يحاول الحد من سلطة الاتراك يتعرض للتهديد والعزل، وفي خلافة الراضي فقد الوزراء كل ما لهم من نفوذ، واقتصر عملهم على الحضور الى القصر في زيهم الرسمي ليشاركوا في الاحتفالات والمواكب، واصبح الامر كله للترك، وزاد منصب الوزارة ضعفا في عهد أمرة الأمراء حتى لم يعد سوى كاتب للخليفة فقد بدوره كل سلطان.

أحوال الاتراك

وصل الاتراك إلى حد كبير من التفكك وتفرق الكلمة، والسر في ذلك انه لم يكن يربطهم بعضهم ببعض أي رباط سري رباط العنصرية، وهذا الرباط اذا كان يربطهم كعنصر يفرقهم كجماعات مغامرة أصحاب طموح.واذا كانت القبائل العربية يربطها رباط العصبية الدموية، والفرس يربطهم القومية، فان الترك لم يكن لهم من هذا او ذاك شئ، فهم ليسوا الا فئات متباينة لكل منها زعماؤها ورؤساؤها المباشرون، وهم لا ينضمون حول هؤلاء الرؤساء بدافع من لحمة القرابة او دافع من القومية، وانما بدافع المصلحة المادية. ودب الحسد والتنازع بين الاتراك بعضهم البعض مما ادى الى ضعفهم وانابوا عنهم قواد ليذهبوا الى اماراتهم وهم يبقوا في بغداد او سامراء ليراقبوا الاحداث ويتحكموا بالخليفة والوزير.

وبدأت عناصر اخرى تنافس الاتراك نفوذهم فظهر المغاربة والعنصر الديلمي والعنصر العربي بزعامة بني حمدان. كما ان الخلافة احست بضعف الوزراء والاتراك وبدات تتطلع لحكام الامارات القريبة من العراق تستعين بهم لانقاذ الموقف

الذي بلغ غايته في التدهور، **فأرسل الخليفة الراضي الى محمد بن رائق أمير واسط والبصرة وعينه في منصب جديد هو منصب امير الامراء وفوض اليه شؤنه واطلق يده في سلطات الدولة جميعا**.

التغييرات التى حدثت فى الخلافة خلال عهد الراضى

منصب أمير الأمراء:

ظهر منصب أمير الامراء رسميا في عهد الخليفة الراضي، عام ٣٢٤هـ واسند الى محمد ابن رائق، والمنصب عبارة عن نقل كل سلطات الخليفة الى قائد تتوفر فيه صفات الرياسة العسكرية، ويجمع الى جانب صفته العسكرية الاختصاصات المدنية. ويقال عن بعض الوزراء انهم اصحاب سيف وقلم، اذا جمعوا بين الاختصاصات الحربية والمدنية، فيرمز بالسيف للاختصاص الحربي، وبالقلم للاختصاص المدني.

وكان أمير الأمراء يتولى: امرة الجيش ثم المناصب المالية، فهو يلي الخراج والمعادن في جميع البلاد، ثم الدواوين، فهو ينظر في جميع الأمور، والاموال تحمل الى خزائن امير الامراء، وبطلت بيوت الاموال القديمة واصبحت تابعة لامير الامراء المسئول وحده عن الناحية المالية كلها: نفقات الخليفة وارزاق الجند ونفقات الدولة. وكان لامير الامراء حق اخر وهو أن يخطب، له على المنابر الى جانب الخليفة، واسمة ينقش على السكة، كما يتمتع بكثير من الحفاوة.

أسباب ظهور منصب امرة الامراء.

ظهرت أمرة الأمراء على انقاض الوزراء فأصبح نظاما مقررا، وكان ذلك تطورا خطيرا في النظم الإسلامية. كانت العادة أن يتولى الخليفة بنفسه حقيبة السلطان، ويعاونه جماعة من الناس لهم صفة العمال فقط لا يزيدون على ذلك شيئا ثم يتخذ الخليفة كتابا، ثم يسمى هؤلاء الكتاب وزراء.... تطغى شخصية القواد العسكريين على الوزراء وهناك ظروف دفعت الدولة العباسية بروز هذا المنصب لكن هناك ظروف اقتصادية وظروف عسكرية ساهمت في ظهوره بقوة.

الظروف **الاقتصادية (الازمة المالية نتيجة لكثرة الثورات والحركات الانفصالية).**

الظروف **العسكرية (ضعف الخلافة، وعدم سيطرته على الجيش).**

الظروف فى العراق وقت ظهور المنصب:

كان يوجد في العراق عندما ظهر منصب أمير الامراء شخصيات سياسية لها تأثيرها على الساحة السياسية في الدولة العباسية أولها: الخليفة الراضى(٣٢٢-٣٢٩هـ) وهو من الخلفاء الناضجين في تفكيرهم الا انه عاجز لأسباب كثيرة أهمها الأسباب الاقتصادية، وبجانب الخليفة كان وزير مشهو هو (ابن مقلة) وكان وزير لخليفة ضعيف فلم يملك الا ايقاع الشخصيات الساسة في مكائد لكى يتصرف فيهم، ولا يسيطيع ان يفرض كلمته.

وثاني الشخصيات شخصية أمير الأمراء وكان في ذلك الوقت ابن رائق وهو منصب اعلى من منصب الوزارة يجمع صاحبه في يده السلطتين الحربية والمدنية. وثالث هو البريدي وهو رجل طموح يصل في سلك الادارة من الوظائف الديوانية الى الوظائف العالية، وكثير من الوزراء قاد الجيش بنفسه مع انه لم يكن من رجال الحرب. وكان كل واحد يبحث عن مصلحته ومدى جمعه للمال واستئثارة بالسلطة ، حتى الجند اصبحوا كل واحد منهم يبحث عن مصلحته الخاصة.

ظهر في هذا الوقت البريدى بشكل كبير وحاول ان يتخلص من خصومه (ياقوت) للوثوق على ولايته، لكن بني بويه بعد ان انتصروا على ياقوت تركوا الاهواز وعادوا الى شيراز التي اتخذوها عاصمة لهم، وبذلك ساء مركز البريدي الذي اصبح خائنا للخلافة ولامير الامراء ابن رائق، ففر الى بني بويه بعد ان عادت جيوش الخلافة الى الاهواز.

كان ابن رائق لا يثق بقائده بجكم لأنه سمع أن ابن مقلة يحاول ان يستميل بجكم، فهو يخاف أن يتم الدس عليه بين ابن مقلة وبجكم، ولهذا لم يتحرك ابن رائق اطلاقا لمنع البريدى من احتلال البصرة فاحتلها وهو آمن.

وقد كان ابن رائق أمير الأمراء أقوى الشخصيات في ذلك الوقت، فابن مقلة لم يكن الا وزيرا ضعيفا تابعا للخليفة. وبجكم ما هو الا قائد لابن رائق وصنيعة من صنائعة، والبريدي ما هو الا رجل طريد استطاع ان يستولى على جزء صغير وهو البصرة.

الا ان الامور اخذت تتطور على اساس مكيدة قام بها ابن مقلة، فأوقع الاطراف بعضها في بعض. واستطاع البريدي ان يكون سيد الموقف ويسير نحو بغداد وان يسير نحو بغداد ليكون أمير الأمراء.

لكن الدسائس كانت تعمل وكان للبريدى اعداء فتحالف ابن مقلة مع بجكم ضد ابن رائق، ولكن ابن رائق استطاع ان يفرق بين بجكم ومولاه ابن رائق **لكن الامور تمت لبجكم واصبح اميرا للامراء**.

بجكم امير الامراء.

اخرج بجكم ابن رائق من بغداد وتولي منصب أمير الأمراء وتحالف مع البريدى حتى انهما تصاهرا واصبحا بهذه المصاهرة متضامنين في كل شيء. وادى هذا الامر الى استقرار الامر في بغداد واصبح التفكر فيما وراء العراق فاتفق بجكم والبريدى على ان يستعيدوا ملكية الخلافة في اقاليم الجبال الشمالية. اتفق الطرفان على ان يخرج بجكم من بغداد الى مدينة خانقين الى نواحي الجبل. وان يقف البريدي عند الطريق بين الاهواز والعراق ليحول بين بني بويه والطمع في العراق. وبمجرد ابتعاد بجكم عن العراق عاد اليه جو الريبة القديم، فشك في صهره البريدي، وخاف أن ينتهز فرصة غيابه فيتصيد لنفسه بعض المناصب والمصالح لذلك ترك تنفيذ الخطة المتفق عليها، وعاد مسرعا من حلوان نحو واسط ليقضى على البريدى. فانسحب البريدى من واسط الى البصرة، وتبعه بجكم بجنوده وهو مطمئن للنصر وكان وهو يسير في الطريق يخرج الى الصيد فقتل اثناء خروجه في احدى المرات. وكان الخليفة الراضي قد مات في بغداد. وانضم الجند الذين كانوا مع بجكم الى البريدى.لانهم كانوا يروا في البريدي رجل الساعة.

البريدى في بغداد

دخل البريدي بغداد دون مقاومة، غير ان الخليفة المتقى لم يكن يحبه وكان يحتقره، ولم يخرج له للتقليد بامرة الامراء واكتفى بأن جعله وزيرا، لكن الوزير اذا جمع الى منصبه المدني قيادة الجيش كان في حكم أمير الأمراء تماما. لكن **الامر لم يستقم للبريدي في بغداد وهناك اسباب كثير لذلك أبرزها**:

أولاً: أن الخليفة المتقى كان معتقدا ان مثل البريدى لا يمكن ان يكون المنقذ للدولة مما هي فيه.

ثانياً: كان في بغداد جيش كثير من الديلم الذين هاجروا، ودخلوا في عداد الجيش، وكانوا حزبا كبيرا يقارب الحزب التركي. وهذا الحزب هو الذي وقف في وجه البريدى واضطر للخروج من بغداد.

ثالثاً: مع اشتهاره بالكرم لم يسلك سبيلا مستقيما، بل أخذ يضع العراقيل في وجه الخليفة للوصول الى مصالح شخصية، وطالب الخليفة بالاموال للجند لانه لم يقلده منصب أمير الأمراء.

كان البريدي يريد أن يتحكم في الخليفة فتحكم فيه الخليفة والجند، فلما رأى الأمور مضطربة في بغداد تركها وعاد الى البصرة.

ابن رائق أمير الأمراء

تصدى الديلم للبريدي، فنهضت العصبية التركية واستدعت ابن رائق للمرة الثانية، وهو زعيم للحزب التركي، واتصل مع البريدي واسند اليه الوزارة واصبح مشاركاً في الحكم مع ابن رائق وتكرار المسألة على هذا النحو يدل على أن صاحب البصرة قاسم مشترك في كل سلطان يوجد بالعراق. وكان طبيعيا أن يوجد رد فعل ايضا من ناحية سياسة ابن رائق، فانه تتبع الديلم ونكل بهم يريد بذلك اضعاف هذا الحزب الذي يتحكم في القيادة العليا.

ظل الامر على هذا مدة الى ان اختلف البريدي وابن رائق، فعزل الاخير الاول عن الوزارة فجهز البريدي جيوشه وتوجه لبغداد، فاضطر ابن رائق والخليفة الى الهروب للموصل والتجآ إلى بني حمدان واستولى البريدي على امرة الأمراء ودخل بغداد للمرة الثانية.

أمرة الأمراء في يد بني حمدان

بنو حمدان كانوا يدافعون عن الثغور الاسلامية في الشمال، فاردوا ان يتدخلوا في الامر فتخلصوا من ابن رائق بقتله، وعادوا بالخليفة نحو بغداد فخرج منها البريدي بكل بساطة، وأسند الخليفة أمرة الأمراء إلى الحسن بن عبدالله الحمداني ولقبه ناصر الدولة كما خلع على أخية ابي الحسن ولقبه سيف الدولة. وبدأ ناصر الدولة باصلاح الاحوال الاقتصادية، وحال دون العيارين والصيارفة، وهدد الصيارف بانزال العقاب بهم اذا لم يقلعوا عن الربا. اثناء وجود الحمدانيين وسط المعسكر حدثت فتنة بين الجند فقد قام "توزون الديلمى" وتزعم حركة شغب حتى ضجر سيف الدولة من قلة الضبط الذي اتصف به هذا الجند، فقرر بنو حمدان العودة الى الجزيرة ليتفرغوا لواجبهم الثغرى، وآلت أمرة الأمراء إلى توزون.

توزون أمير الأمراء

توزون أهم الأمراء الذين تولوا الأمر قبل العصر البويهي، فقد استطاع أن يغتصب المنصب من متنافسين قويين هما الحمدانيون والبريدون، وبهذا اثبت انه اقوى من ابن رائق كما أثبت أنه أقوى من بجكم، و**هوالذي صد الحمدانيين فانسحبوا**، وهو الذي وقف أمام البريدي، ولهذا لا نكون مبالغين اذا قلنا انه كان من أكبر شخصيات الدولة. وكان توزون يتحايل على الخليفة بالوعود، حتى عاد الخليفة الى بغداد مرة أخرى اذ كان يخشى أن يعين توزون خليفة غيره.

وحين عاد الخليفة قدم له فروض الطاعة ظاهريا، ولكنه أوعز إلى بعض أصحابه فقبضوا على الخليفة وأجبروه على خلع نفسه ثم سملوا عينيه. وبهذا وقع الخلفاء تحت يد الديلم كما كانوا بيد الترك.

كما خلع توزون الخليفة استطاع ان يختار خليفة غيره يكون طوع يديه فاختار المستكفى، وهذا يدل على قوة توزون وهذا يوضح مقدار ما وصلت اليه الخلافة من ضعف. توفى توزون فخلفه ابن شيرزاد، وفي عهد هذا قدم البويهيون الى العراق فحلوا محل أمراء الأمراء.

==========

المحاضرة الخامسة

الدول المستقلة فى العالم الاسلامى فى العصر العباسى الثانى:

عناصر المحاضرة:

الامارات المستقلة فى المغرب والأندلس

١- الامارة الأموية فى الاندلس

٢- إمارات الخوارج

٣- إمارة الأدارسة

٤- إمارة الأغالبة

الامارات المستقلة فى المغرب والأندلس

الامارة الأموية فى الاندلس: (مناقشة ١٠)

عندما قامت الدولة العباسية فرت الفلول الأموية التي نجت من التنكيل العباسي إلى المغرب البعيد، والذي كان في الحقيقة طرفا بعيدا جدا عن مركز الدولة العباسية التي اتخذت العراق مقرا لها، ولجأت إلى أقليم كان لبني أمية موال استطاعوا ان يحموا الامير الاموي الذي لجأ اليهم، وان يعينوا على الوصول الى الحكم منتهزين الخلافات الداخلية بين الاطراف المتنازعة في الاندلس، ورغبتهم في الحكم الذاتي، ولبعد الاندلس عن مركز الخلافة العباسية كان هذا الاقليم من اول الاقاليم التي انفصلت عن الدولة العباسية، علاوة على معارضة الامير عبد الرحمن الداخل للحكم العباسي وعدم اعترافه به. وهناك ناحيتين ادتا الى نجاح الحركة الاسلامية في الاندلس وهما:

الحكم السابق لحكم العرب كان حكم القوط، كان حكما أجنبيا مفروضا له مظهره العسكري ومظهره الديني، وكانت له مساوئه التي كان ابرزها عظم نفوذ الكنيسة وتسلط رجال الدين، وانقسام المجتمع الى طبقات متمايزة (النبلاء، كبار الملاك، التجار والزراع وصغار الملاك ورقيق الأرض او عبيد الأرض) لذلك كانت الطبقات الدنيا تواقه لزول الظلم عندهم لذلك عندما جاء الاسلام بدعوته العالمية ومساواته كان مقبول وسقطت الطبقية والطبقات.

عنصر الهجرة كان له دور اساسي في نشر الاسلام في الاندلس، الفاتحون العرب والبربر والهجرات المغربية الى الاندلس وبقاء الجيوش الاسلامية في الاندلس ولذلك نشأ جيل جديد اطلق عليه اسم المولدين.

أدت الدولة الاموية في الاندلس دوراً واضحاً في الناحيتين السياسية والحضارية. وأهم دور قام به الامويون في الناحية السياسية هو أنهم ظهروا في وقت هام، وهو ظهور الامارات المسيحية في شمال الاندلس وسعيها لأسترداد الأرض التي فتحها العرب، وكذلك ظهور الامبراطورية الغربية التي انشأها شرلمان وقيام تحالف بين الامارات المسيحية والامبراطورية الشارلمانية، وكان هدف هذا التحالف هو طرد المسلمين من الاندلس.

كما كانت للامويين في الاندلس دور في التاريخ الثقافي، فظهرت الثقافة الاسلامية في مدن الاندلس مثل قرطبة وطليطلة واشبيلية وغرناطة، وظهر الفن الاسلامي الاندلسي. وبذلك أسهمت الأندلس في خدمة العالم الاسلامي الكبير في ناحيتيها السياسية والحضارية.

استطاع أمير أموى فر من وجه العباسيين هو عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ان يصل الى الاندلس وأن يؤسس إمارة مستقلة. ولقيت هذه الامارة تأييدا كبيرا من السكان الراغبيين بالاستقلال، وظلت الاندلس مستقلة تحت حكم الامراء من بني أمية حتى سنة ٣١٦هـ. وفي هذه السنة قام الامير الاموي عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر باعلان الخلافة.وهذا يدل دلالة واضحة على ان الحركات الاستقلالية في الدولة العباسية وصلت الى اقصى حد يمكن ان تصل اليه، وظلت هذه الخلافة حتى سقطت حوالى نهاية الربع الأول من القرن الخامس الهجرى. وكان سقوطها مقدمة لظهور المغاربة في تاريخ الاسلام.

الامارات المستقلة فى المغرب والأندلس

إمارات الخوارج

بدات شخصية المغرب الأفريقي في الظهور منذ أواخر العصر الأموي، ولكن ظهورها اتخذ شكلا واضحا في بداية العصر العباسي، وقد أعلن عن ظهور شخصية المغرب تقهقر المعارضة اليه واتخاذه مركزا لنشاطها. وكان للمعارضة

أطراف ثلاثة: المعارضة الأموية، واستطاعت تأسيس دولة مستقلة لها على يد عبد الرحمن الداخل، والمعارضة الخوارجية، والمعارضة الشيعية، وقد توزعتا بين المشرق والمغرب ولكن مجالها في المغرب كان أقوي. وحدث صراع كبير بين البربر والعرب والدولة العباسية التي تمثل الحكومة المركزية نتج عنه قيام ولايات من البربر على يد زعماء من سلالة العرب استقلت استقلالا تاما، ومن هذه الولايات: ولاية تاهرت (المغرب الاوسط) التي أسسها عبد الرحمن بن رستم بمساعدة الاباضية (١٣٧-٢٩٧هـ) وولاية سجلماسة (المغرب الاقصى) التي أسسها بنو مدرار (١٦٧-٢٥٧هـ) وتلمسان التي أسسها أبو فروة الصنهاجي، وبرغوانة الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي.

إمارة الادارسة

أسسها أدريس بن عبدالله العلوي في بلاد المغرب الأقصى (١٧٢-٢٧٥هـ)، حيث وافق وصوله الى المغرب نشاط الحركة الاستقلالية في هذه البلاد، كما وافق ايضا ظهور القوات العباسية على الخوارج، والتي حول ادريس عدد كبير من البربرالذين وجدوا فيه ثائر على الدولة التي يكرهونها، وكان يمثل عندهم روح الاسلام. وكان الأدارسة يعبرون تعبيرا صحيحا عن شعور البربر أهل البلاد الأصليين ورغبتهم في الاستقلال، وكان ادريس لا يعتمد الا على نسبه العلوي، اما جنوده ورجاله فكانوا من اهل البلاد الاصليين. دس لادريس السم فمات سنة ١٧٧هـ، على ان مقتله لم يقف دون جهود العلويين لاقامة دولتهم وكانت لادريس آمة حامل فانتظروا حتى ولدت ذكرا فسموه ادريس والتفوا حوله فكان ادريس الثاني هو المؤسس الحقيقي لدولة الادارسة واتخذ من فاس عاصمة لدولته التي اسسها سنة ١٩٢هـ. وبرز من قواد الادارسة يحيى الرابع بن ادريس بن ادريس بن عمر (٢٩٢-٣١٠هـ) الذي امتد ملكه على جميع بلاد المغرب الأقصى.

حكم الادارسة باسم الفاطمين ولكن ما لبثت دولة الأدارسة أن وقعت بين خصمين متنازعين الفاطميون في افريقية والأمويون في الأندلس. (مناقشة ١١)

اسهم الادارسة في خدمة العالم الاسلامي في ناحيتهم فهم الذين ثبتوا البربر على الاسلام، ويعتبرون بحق الممهدين لظهور البربر في المجال الاسلامي ظهورا واضحا. وكان ظهور الادارسة وحكمهم للمغرب حكما قوميا مقدمة لظهور المرابطين الذين كان ظهورهم يمثل حركة قومية جذب عددا كبير من قبائل البربر نحو الاندماج في الامة الاسلامية. ونشر الادارسة بدور كبير جدا في انتشار الاسلام في غرب أفريقيا. كما كانت مدينة فاس عاصمة الادارسة مركز ثقافيا واضحا واصبحت هي والقيروان تمثلان نموذجا للمدارس الاسلامية في المغرب.

إمارة الأغالبة

اسسها ابراهيم بن الأغلب في تونس (١٨٤-٢٩٦هـ)، وظلت معترفه بالحكم الاسمي للخلافة العباسية، وقد أثبت ابراهيم قوته بعد ان وطد الحكم في أسرته واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في اقليمة، كما استطاع ان يوقف طموح الأدارسة وأن يعقد معهم اتفاقا على أن يكف كل منهما عن الآخر.

اتخذ ابراهيم من مدينة القيروان عاصمة لولايته، واستطاع بنو الاغلب ان يقضوا على كل الثورات التي قامت في افريقية، وان يوطدوا الأمن بصورة أكثر الى حد كبير جدا، كما استطاعوا ان ينموا موارد الاقليم لتسد النفقات الحربية الهائلة التي تطلبها التصدى لتحركات الروم ضد الساحل الافريقي، ولم يكتفوا باتخاذ الدفاع، بل انهم قاموا بحملات بحرية ناجحة أدت إلى فتح صقلية ومالطة.

وادى الاغالبة واجبهم نحو العالم الاسلامي، وكيف قاموا بنصيبهم في الدفاع عنه على خير دفاع، فقد دافعوا عن الثغر الأفريقي دفاعا ناجحا، بل مدوا نفوذ العالم الاسلامي وضموه له جزيرة صقلية الذي ظل المسلمون يحكمونها اكثر من قرنين من الزمن وكانت مركز اشعاعات الثقافة الاسلامية. وازهرت الحياة الاقتصادية في عهد الاغالبة بسبب توفير الامن للسكان فزادت المحاصيل الزراعية، وعمرت بالزراعات أراض لم تكن عامرة، وتقدمت الصناعة مثل صناعة

الالات الحديدية اللازمة للسفن والسيوف والدروع والزجاج وصناعة النسيج.....ويصف الادريسي القيروان حاضرة الاغالبة بقولة "أم الأمصار، وقاعدة الأقطار، كانت أعظم مدن الغرب طرا، وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا، وأوسعها أحوالا، وأتقنها بناء، وأنفسها هما، وأربحها تجارة، وأكثرها جباية، وأنفقها سلعة وأنماها ربحا".

واهتم الاغالبة بالعمارة واهم اثراهم مسجد القيروان الذي اختطه عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ وزاد فيه الاغالبة زيادة عظيمة، وكذلك جامع الزيتونة بتونس، ومسجد سوسه وسورها. أما الناحية الثقافية فظهرت الثقافة المغربية ذات شخصية مستقلة، فظهرت مدارس القيروان وغيرها. وظلت الدولة الاغلبية تؤدي دورها الذي اضطلعت به في هذا الطرف الغربي حتى نجحت الدولة الفاطمية في المغرب وامتدت إلى تونس فأسقطت هذه الدولة سنة ٢٥٦هـ وخلف الفاطميون الادارسة والاغالبة في المغرب الأغريقي ثم لمتدوا شرقا إلى مصر.

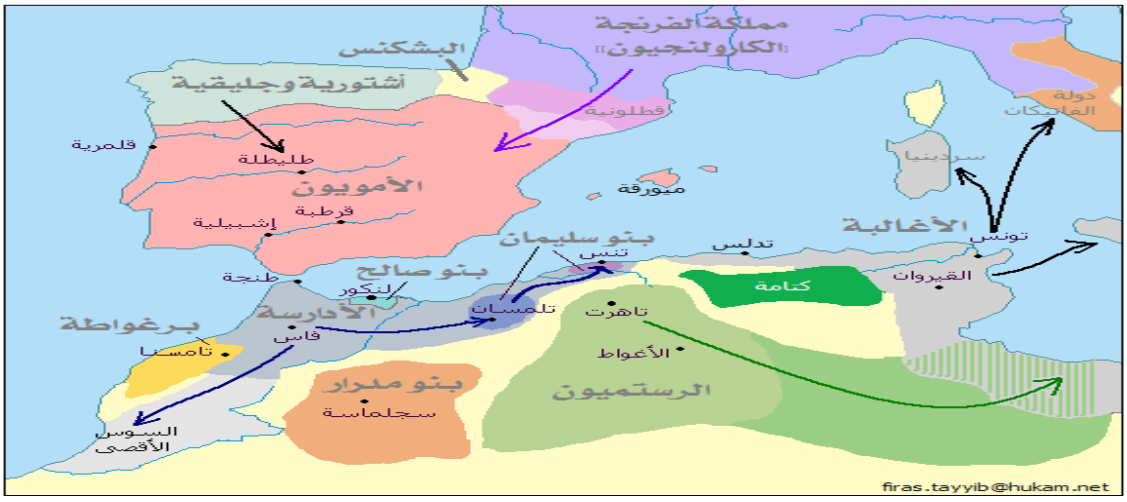

الأدارسة. الرستميون والأغالبة

شمال إفريقية والأندلس في القرن التاسع للميلاد

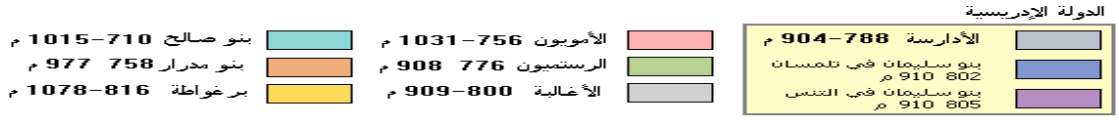

==========

المحاضرة السادسة

الدول المستقلة في العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني

عناصر المحاضرة:

الامارات المستقلة فى مصر والشام

١- الدولة الطولونية

٢- الدولة الاخشيدية

٣- الدولة الحمدانية

الامارات المستقلة فى مصر والشام

أصبحت مصر والشام منذ ابتداء الدولة العباسية تقريبا تؤلفان وحدة خاصة، وهذه الوحدة ادارية وسياسية وثقافية، فمن الناحية الادارية كانت الشام ومصر تابعة لولي العهد الاول الذي كانت توكل الية ادارة المغرب فهو الذي يولى الولاة. والواقع ان موقع مصر والشام على البحر المتوسط كان يحتم عليها أن يتعاونا من الناحية الادارية، ومن الناحية الحربية. وقد كان الاسطول المصري يدافع عن الشام. والارتباط الوثيق بين مصر والشام قديم جدا يرجع الى عهد الفراعنة، فكانا يؤلفان وحدة سياسية وثقافية قوية، كما كان من الطبيعي أن تؤدي وحدة المصير في العهد البطلمي والعهد الروماني الى زيادة التفاهم وزيادة الارتباط بين هذين القطرين.

كانت مصر والشام تمثل وحدة واحدة في العصر العباسي، وحين بدأت الحركات الاستقلالية تظهر في اقاليم الدولة العباسية في العصر الثاني، لذلك ظهرت دول مستقلة سنوضحا فاول هذه الدول الدولة الطولونية

الدولة الطولونية : (٢٥٤- ٢٩٢هـ)

مؤسس الدولة الطولونية –أحمد بن طولون- رجل تركي، وكان أبوه أحد الاتراك الذين كان يرسلهم ولاة ولايات الدولة الشرقية إلى الخلفاء العباسيين ضمن هداياهم للخلفاء. وقد تربى أحمد بن طولون في بغداد ونال حظا من الثقافة الدينية التي كان لها اثر كبير في حياته السياسية. وخالف ابن طولون ما اعتاد عليه الاتراك من العبث والظلم، وما طبعوا عليه من حب المال وجمعه عن طريق الاستيلاء والمصادرة ودون نظر الى رعاية مصالح الناس، او عمل على تنمية موارد الثروة، حتى اصاب العراق في عهدهم الخراب الاقتصادي، ولما تولى أحمد بن طولون مصر نمت ثروتها على يديه نموا كبيرا بما قام به من اصلاحات اقتصادية شاملة، كما كان مثلا في التواضع والعدل وتقريب العلماء.

دخل أحمد بن طولون مصر في رمضان سنة ٢٥٤ هـ نائبا عن واليها بايكباك التركي، ولم يكن له ولاية مصر وانما كان على الصلاة وله الحاضرة، وكان معه اخرون على حكم الجهات الأخرى، فقد كان على الاسكندرية اسحاق بن دينار، وعلى برقة أحمد بن عيسى الصعيدي، وعلى القضاء بكار بن قتيبة، وعلى البريد شقير الخادم، وعلى خراج مصر كلها أحمد بن بدير، فكانت سلطات احمد بن طولون محدودة في مصر.لكن غايته كان ان يستقل بمصر كلها تحت سلطات الخلافة العباسية وبرغبتها، ثم يتخذ من مصر قاعدة ليلعب الدور الأول في العالم الاسلامي، ثم يجعل الامارة وراثية في أبنائه ولتحقيق ذلك كان لا بد من تجاوز عقبات كثيرة. كما اسلفنا بان سلطانه في مصر كان محدود وكان له منافسون كان اخطرهم أحمد بن المدبر عامل الخراج. ثم كانت الفتن والاضطرابات مشتعلة في مصر وقد اخمد نارها الخوارج والعلويون، وتأثرت حالة مصر الاقتصادية بهذه الفتن فتعطلت المرافق وتعرضت البلاد لسطوات كثيرة من الخارجين وكان على احمد بن طولون ان يتصدى لهم.

هناك ظروف ساعدت احمد بن طولون في مصر لمزيد من فرض هيبته عليها فبايكباك قتل وأسندت ولاية مصر الى بارجوخ، الذي كانت بينة وبين ابن طولون مودة ومصاهرة فأقره على ما في يده وزاد في سلطته بأن استخلفه على مصر. وام ابن المدبر بعد ان اطلقت يد احمد بن طولون في مصر فضل ان ينتقل الى ولاية دمشق ويبتعد عن ابن طولون لان الامر اصبح له في مصر وزادت حضوته لدى الخلافة.

ولما مات بارجوخ سنة ٢٥٨ هـ توطدت قدم ابن طولون في مصر وأصبح يحكموها من قبل الخلافة مباشرة. وأصبح ابن طولون مطلق اليد حر التصرف، فأخذ يعمل على بناء دولة قوية تستطيع أن تتحمل أعباء الدور الذي يصبوا الى القيام به في العالم الاسلامي، وعمل على اقرار الامن في البلاد لينصرف الى تنفيذ مشروعاته في هدوء. وتصدى للفتن الداخلية فقمعها بقوة حتى استقامت له الجبهة الداخلية واعترفت له جميع القوى بزعامته، وقام باصلاحات اقتصادية.

استعان باهل البلاد من الموظفين، ووضع موظفين موالين له في ديوان الخراج، وعمد على مضاعفة الدخل في الجانب الزراعي والصناعي والتجاري وعرف كيف يستغلها لبناء الدولة دون ان يرهق الناس. ولكي يستكمل استقلالة

كان لا بد ان يكون له جيش قوي يدين له بالولاء ويكون عون له من اجل تحقيق مشروعاته استكثر من شراء العبيد حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف غلام تركي، وأربعين ألف أسود وسبعة آلاف مرتزق. وهكذا اصبحت له قوات نظامية تتبع له مباشرة. وكان لابن طولون دور في الصراع الذي حدث في خلافة المعتمد بعد سيطرته الموفق على مقاليد الدولة وحاول ان يستميل الخليفة اليه وارسل له رسالة جاء فيه: " ...وقد جمعت عندي مائة ألف عنان أنجاء. وانا أرى لسيدى أمير المؤمنين الانجذاب الى مصر، فان أمره يرجع بعد الامتهان الى نهاية العز، ولا يتهيأ لأخيه فيه شئ مما يخافه عليه منه في كل لحظة...."

غير ان الخليفة لم يوفق في الوصل الى مصر فالموفق كان له بالمرصاد ولو نجح ابن طولون في جلب الخليفة لاصبح له شأن كبير في الدولة الاسلامية. وحدثت بعض المناوشات بين الموفق والمتوكل فالمتوكل جمع العلماء والفقهاء في دمشق واعلن عن خلع الموفق من ولاية العهد وبالمقابل اعلان الموفق ان ابن طولون خارج عن الخلافة. على الرغم من هذا الخلاف الكبير الذي حدث بين ابن طولون والخلافة فقد أثبت جدارة كبيرة وأظهر تفوقا في السياسة والحرب، ومع ذلك اتسع ملكة من العراق شرقا حتى برقة غربا ومن آسيا الصغرى الى النوبة، وكان ابن طولون شديد البأس خبيرا بتعبئة الجيوش وقيادتها واسهم في الدفاع عن الثغور الشمالية في مواجهة الروم. ولما مات ابن طولون بايع الجند ابنه خمارويه الذي كان عليه واجب الدفاع عن الدولة التي اقامها ابوه في مصر وان يحتفظ بالشام.واخيرا تم الاتفاق بين خمارويه والخلافة على ان يحكم مصر مدة ثلاثين سنة فيه واولاده لا يهدد بعزل أو تدخل في شؤنه، فكان هذا الامر جديد في العلاقات بين مصر وبين دار الخلافة، وبذلك استوفت الامارة الشكل وأصبحت مصر دولة يعترف بها أصحاب النفوذ الاسمي والفعلي.

في عهد الخليفة المعتضد زاد التلاحم بين الطولونيين والخلافة عندما تزوج الخليفة المعتضد من قطر الندى بنت خمارويه، وكسب بذلك البيت الطولوني مجدا بالمصاهرة.

توفى خمارونه سنة ٢٨٢هـ وبموته اضطربت احوال الدولة الطولونية بسبب تدخل الجند وتنافس الامراء الطولونيين فيما بينهم، واشتعلت الفتن والثورات، وأصبح من المؤكد أن أمراء البيت الطولوني فقدوا عنصر القوة الذي تمتع به احمد بن طولون وابنه خمارويه. واصبحوا العوبة في يد الجند وتعرضوا للمهانة والقتل واستطاع القرامطة دخول الفسطاط سنة ٢٩٢هـ وهكذا تكون الدولة الطولونية زالت عن المسرح السياسي للدولة الاسلامية.

الدولة الاخشيدية : (٣٢٣ – ٣٥٨هـ)

يشبة ظهور محمد بن طغج الاخشيد في مصر إلى حد كبير ظهور أحمد بن طولون، ويشبة ظهور ابراهيم بن الاغلب، فقد ظهر الأخشيد ليخلص مصر من الفتن الداخلية العنيفة التي قامت بها بعد عودتها الى حوزة الخلافة العباسية، وليصلح من احوالها التي أفسدها عمال الخراج الذين عادوا الى عبثهم وافسادهم بعد زوال الحكم الطولوني. وجاء الاخشيد الى مصر ليواجه التهديد الفاطمي الذي اخذ يتجه الى مصر ويلح عليها بالغزو، تصدى الاخشيد للنفوذ الفاطمي، وحاول الاخشيد اغراء الخليفة العباسي بالقدوم الى مصر ليخرج عن نفوذ أمير الامراء المتسلط في بغداد، كما حاول ابن طولون أن يغري الخليفة المعتمد بالقدوم اليها بعيدا عن نفوذ أخية الموفق.

محمد بن طغج بن جف تركي من فرغانة، وقد قدم جده جف الى دار الخلافة في عهد المعتصم، وظلت أسرة جف مقيمة بدار الخلافة تعمل ضمن الأتراك الذين كانوا يعملون في العراق.

وقد بدأت حياة محمد بن طغج العملية تظهر حين اتصل بخدمة ابن بسطام عامل بلاد الشام، ووجد في مصر ميدان فسيح ليظهر على مسرح الحوادث، جاء الى مصر وقاتل تحت قيادة تكين التركي وظهرت شجاعته وبلاؤه في قتال الحملة التي وجهها الفاطميون بقيادة حباسة بن يوسف الكتامى سنة ٣٠٢هـ. وفي سنة ٣٠٦هـ والي طغج عمان وجبل الشراة، نيابة عن تكين وأتيحت الفرصة له كي يظهر على مسرح الاحداث عندما تصدى للاعراب بعد هجومهم

على قافلة حجاج مارين من بلاد الشام وكان من بينهم اعيان من العراق وجارية لأم الخليفة، فتصدى ابن طغج للأعراب وهزمهم وخلص القافلة منهم، فحمد الناس له هذا العمل.

ونجح ايضا في التصدي للخطر الفاطمي، ونتيجة لذلك والي ولاية الرملة في فلسطين سنة ٣١٦هـ ثم ولاية دمشق ٣١٦هـ، ولكن ابن طغج كان يرنو لمصر معتمدا على الاموال والجند التي تحت امرته. وتحقق لابن طغج النفوذ في حاضرة الخلافة بعد مصاهرته للفضل بن جعفر صاحب النفوذ في بغداد.

وكانت الخلافة في بغداد بحاجة الى رجل قوي ليرد الفاطميين فولي ولاية مصر، وجاء طغج على راس حملة عسكرية لمصر للقضاء على عامل الخراج فيها، ونجح بن طغج في التصدي للحملات الفاطمية وبذلك نال الاعجاب وامر الخليفة ان يزاد على لقب محمد ابن طغج لقب الاخشيد، وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك فرغانة، ودعى له بهذا الاسم على المنابر في شهر رمضان سنة ٣٢٧هـ، وهذا اعتراف من الخليفة بمكانة الاخشيد. قام الاخشيد بانشاء جيش على غرار ابن طولون وحبب المصريون له وفاز بولاء اهل الذمة الذين كانوا لا يزالون في ذلك الوقت قوة تحسب لها حساب.

كان الاخشيد يستخدم القوة ضد خصومه، كذلك كان يستخدم السياسة، وكان يغلب المصلحة العامة اذا تعارضت مع المصلحة الخاصة. وكان الاخشيد مرهوب حتى من الروم بسبب صده لهجمات الفاطميين حتى ان الامبراطور رومانوس كاتبه دون الخليفة وتودد له، فرد عليه الاخشيد مؤكدا ولاءه للخليفة، وأجاب في اعتداد انه يقبل من ما عرضه من فداء الاسرى ومبادلتهم.

وحين مات الاخشيد سنة ٣٣٤هـ كان ولداه صغيرين، فتولى الوصاية عليهما مربيهما كافور الاخشيد الذي أصبح صاحب السلطان المطلق في ادارة الدولة الاخشيدية، واستطاع كافور ان يحافظ على الدولة وان يدافع عنها طوال مدة وصايته ٣٣٤-٣٥٥هـ حتى اذا ما مات ابنا الاخشيد اعلن كافور نفسه واليا من قبل الخليفة، ولكن الحملات المغربية توالت على مصر، وكان الدعاة الشيعة قد نجحوا في الدعوة الفاطمية حتى ان كافور نفسه تلقاهم بالقبول. وبعد موت كافور وجه الفاطميون حملة عسكرية على مصر استطاعوا اخضاعها تحت حكمهم. وباستيلائهم على مصر تقدموا الى الشام وانشطر العالم الاسلامي الى شطرين: شطره الشرقي تحكمه الخلافة العباسية وقاعدته العراق، وشطره الغربي تحكمه الخلافة الفاطمية وقاعدته القاهرة التي انشأها الفاطميون بعد دخولهم مصر بقليل.

الدولة الحمدانية : (٣١٧- ٣٩٤هـ)

قامت دولة الحمدانيين في منطقة الموصل ثم حلب(٣١٧-٣٩٤هـ)، قامت الدولة الحمدانية بين قوة الخلافة في بغداد وقوة الاخشيديين ثم الفاطميين الذين يحكمون مصر والشام، وكان قيام هذه القوة ضرورة لسد هذا الفراغ بين هاتين الاسلاميين اللتين. وكان ظهور الحمدانيين من ناحية أخرى يمثل انتعاش العنصر العربي الذي انزوى بعد تقدم العناصر التركية في العراق.

علاقتهم بالخلافة العباسية: اولا بدات بالثورة على العباسيين، ثم قامت بمساعدة الخلافة العباسية، واهم ما قام به الحمدانيون لصالح الخلافة في وجه المتسلطين عليها من أمراء الأمراء، وكان العراق يمثل الجبهة الخلفية للحمدانيين في مواجهتهم للروم. اما المشاكل الداخلية التي عصفت داخل بيت الخلافة فضل بنو حمدان عدم التورط في مشاكل الخلافة التي يحسون بعجزهم عن حلها. ورغبوا في التفرغ لمهمتهم الثغرية في الدفاع عن الثغور الاسلامية في مواجهة الهجمات الرومية.

علاقة الحمدانيين بمصر: الفرع الحمداني الذي اتصلت هو امارة حلب التي كان عليها سيف الدولة. وقامت الحرب بين الاخشيد وسيف الدولة، وعلى الرغم من انتصار الاخشيد، فانه صالح سيف الدولة وترك له حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا، كما تعهد أن يدفع له جزية سنوية على ان ألا يتعرض لدمشق. وبعد سيف الدولة تفككت الاسرة

الحمدانية ووقعت في صراعات داخلية أدت بها الى الانحراف عن مهمتها الثغرية في قتال الروم، بل ان بعض افرادها استعان بالروم أنفسهم على البعض الآخر. وسقطت تحت ضغط الفاطمى المتزايد في مصر.

جهاد الحمدانيين ضد الروم: هذا الدور البراق الذي لمع به الحمدانيين في العالم الاسلامي كقوة لها فاعليتها واحترامها. وقد خلد لهم الشعراء هذه الانجازات كالمتنبي وأبي فراس

ووصفه الثعالبي في يتيمة الدهر" ...وكان غرة الزمان وعماد الاسلام، ومن به سداد الثغور وسداد الامور، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها وتنزع لباسها، وتفل أنيابها وتذلل صعابها، وتكفي الرعية سوء آدابهاوغزواته تدرك من طاغية الروم الثار، وتحسن في الاسلام الآثار". وخاضت الدولة الحمدانية حروب طاحنة مع الروم واستطاعت صد الهجمات الرومية عن البلاد الاسلامية.

==========

المحاضرة السابعة

الدول المستقلة فى العالم الاسلامى فى العصر العباسى الثانى

عناصر المحاضرة:

الدول المستقلة فى المشرق (مناقشة ١٢)

١- الدولة الطاهرية

٢- الدولة الصفارية

٣- وهناك دول ظهرت في المشرق الاسلامي منها الدولة السامانية، الدولة الغزنوية.

الدولة الطاهرية : (٢٠٥ – ٢٥٩هـ)

أسس هذه الدولة طاهر بن الحسين أحد قواد المأمون الثقاة وقد ولاة المأمون خراسان سنة ٢٠٥هـ واضاف اليها اعمال المشرق كلها من بغداد. اتخذ من نيسابور قاعدة له في خراسان لكن مات وشيكا سنة ٢٠٧هـ، واقر الخليفة ابنه طلحة على ولاية خراسان. ولم يفكروا بالاستقلال عن الخلافة العباسية، وتتبع الطاهريون العلويين يقضون على حركتهم العلوية في خراسان، وتصدى خلفائه للحسن بن زيد العلوى الذي ظهر في طبرسان..... وتعاون عبدالله بن طاهر مع الخلافة تعاونا صادقا في قمع الخارجين عليها. وقدر العباسيون خدمات الطاهريين وقربوهم، ومالوا الى جانبهم في النزاع مع الصفاريين، وابقوا شرطة بغداد في ايديهم حتى سنة ٣١٠هـ على الرغم من زوال ملكهم في خراسان. ومما لا شك فيه ان حكم الطاهريين للمشرق كان حكما صالحا، فاهتموا برعاياهم وأصلحوا الاحوال الاقتصادية. وسقطت نتيجة لقيام الصفاريين سنة ٢٥٩هـ.

الدولة الصفارية : (٢٥٤ – ٢٨٩هـ)

قامت على أنقاض الدولة الطاهرية في خراسان التي تأسست في عهد الخليفة المأمون على يد طاهر بن الحسين (٢٠٥هـ).

كان يعقوب يعقوب وعمرو يشتغلان بالصفر ويتظاهران بالزهد وكان يعقوب أحد زعماء المطوعة وكان أحد قواد صالح بن النضر الذي استولى على سجستان ولكن طاهر بن عبد الله بن الحسين استردها.

تغلب على سجستان أحد زعماء المطوعة درهم بن الحسين الذي ظهر عجزه فولى جنده يعقوب بن الليث فاستطاع أن يمتد في حدوده حتى تغلب على سجستان وهراة وغيرها.

احتل نيسابور وبذلك يكون قد خالف أوامر الخليفة وادعى أن أهل خراسان بعثوا إليه ثم مد نفوذه إلى بلاد فارس.

خاف الخليفة من زيادة توسعه فجمع حجاج خراسان وغيرهما وقرأ كتاب بلعن يعقوب وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار.

أثار هذا العمل حفيظة يعقوب فأعد العدة لقصد العراق ثم الأهواز وكتب للخليفة بإعطائه خراسان وفارس وشرطة بغداد وسامراء وغيرها وأن يقرا عليهم خلاف ما قُريء عليه فقبل الموفق.

لكن يعقوب لم يقتنع بذلك بل صمم على محاربة الخليفة وإرغامه على ذلك وتقابل مع الخليفة في دير العاقول سنة ٢٦٣ هـ وهزم يعقوب.

لكن الهزيمة لم تفت من قوة يعقوب الذي استمر في توسعه، لذا حاول الخليفة أن يتصالح معه ولكن يعقوب رفض الصلح معه ثم مات.

عمرو بن الليث: اقره الموفق بعد أخيه ولكن العلاقات لم تلبث أن ساءت فقد عزل الخليفة عمرو وأعلن الخلع أمام الناس ولعنه على المنابر وأخبرهم أنه قلد محمد بن طاهر بن الحسين بلاد خراسان الذي أناب عنه رافع بن هرثمة.

انتصرت جيوش المعتمد على عمرو حيث خرج عليه الموفق سنة ٢٧٤ هـ ولكنه رغم ذلك لم يستطع أن يستولي على كرمان و سجستان.

سنة ٢٧٩ هـ أعاد المعتضد الولاية لعمرو ولكن رافع رفض أمر الخليفة وحارب عمرو حتى قتل فأرسل الخليفة لعمرو الخلع التي رفضها وطلب ولاية بلاد ماوراء النهر التي كانت للسامانيين فوافقه الخليفة وكتب له إسماعيل بن أحمد السامانى بالقناعة بما عنده وتركه ولكن عمرو أصر وحاربه وهزم ففرح الخليفة وجاءه عمرو أسيراً ثم مات ببغداد سنة ٢٨٧ هـ.

أسباب سقوط الدولة الصفارية:

وظهرت أسباب كثيرة كان الاساس في سقوط الدولة الصفارية وهي:

الفارق الكبير في القيادة بين يعقوب وعمرو.

بعد وفاة يعقوب انصرف عدد من القادة الذين يعملون معه بعد تولي عمرو للفارق بين شخصية الرجلين.

ضعف الدولة الإقتصادي خصوصاً بعد وفاة يعقوب.

نمو الدولة السامانية.

القضاء على ثورة الزنج.

استمرت الدولة الصفارية حتى سنة ٢٩٦ هـ وكان آخر حكامها طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الذي دخل في صراع مع أحد المنشقين وهُزم وأرسل إلى بغداد.

دول أخرى ظهرت في المشرق الاسلامي

وهناك دول اخري قامت في المشرق الاسلامي وكان لها دور سياسي وحضاري في تاريخ الدولة العباسية فقد نشأت الدولة السامانية سنة ٢٦١-٣٨٩هـ والسامانيون ينتسبون الى اسر الفرس العريقة وقامت دولتهم في بلاد ما وراء النهر، وقامت علاقتهم مع الخلافة العباسية على اساس المودة لان اطماعهم كانت خارجية بعيده الخلافة. وحافظ السامانيون على دورهم في حفظ الثغر الاسلامي الشرقي. وانبثق عن مركز ن النفوذ الساماني الدولة الغزنوية وهي دولة تركية اتخذت من الثغر الهندي مركزا لها واستمرت الدولة الغزنوية من ٣٥١-٥٨٢هـ وبرز من القادة الغزنويون محمود الغزنوي الذي تولى السلطة من سنة ٣٨٨هـ -٤٢١هـ

وامتاز عهده بالجهاد الاسلامي في اقليم الهند.ويقال ان غزواته وصلت الى حدود الدكن، واعترفت به الخلافة سلطانا مستقلا ولقبه الخليفة بلقب "يمن الدولة" اعترافا من الخليفة بانه يرعى الركن الايمن من المشرق الاسلامي.

وظهرت الدولة الطبرية في طبرستان وكانت تدين بالفكر الشيعي وامتد حكم الدولة اكثر من نصف قرن (٢٥٥-٣١٦هـ). وظهرت ايضا الدولة الزيارية المنسوبة الى (مردواج بن زيار).

المحاضرة الثامنة

الثامنة: العصر البويهى ...(٣٢٠ – ٤٤٧هـ)

-أصل بني بويه وتأسيس دولة البويهيين.

- علاقة البويهيين بالخلافة العباسية ومميزاتها.

العصر البويهى ...(٣٢٠ – ٤٤٧هـ)

بنو بويه أسرة تتكون من ثلاثة رجال ظهر أمرهم وهم: علي والحسن وأحمد أبناء بويه، وكانوا من اسرة فقيرة ببلاد الديلم، وكان ابوهم بويه رجلا من عامة الناس يتعيش من صيد السمك، ويعينه أولاده على الحياة بالقيام بأعمال ضئيلة يتكسبون منها، وقد كان أحمد بن بويه بعد أن ملك البلاد وتولى امرة الأمراء ببغداد يتحدث بنعمة الله تعالى عليه فيقول " كنت أحتطب الحطب على رأسي".

لكن هذه الاسرة الفقيرة عظم آمرها حتى سمى باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية، واشتركوا مع الخلافة في حكم العراق الى حدود الجزيرة العربية، وبلاد الجبل أو العراق العجمى، كما ان اقليم طبرستان كان حليفا للبويهيين، كما حكموا أقليم الأهواز المسمى باقليم طبرستان، واقليم فارس كان مركزا لحكم بني بويه واقليم كرمان.

جاءت هذه الاسرة من الشمال، من بلاد الديلم، وكان ارتفاع أمرها على يد الأخ الأكبر من الاخوة البويهيين الثلاثة، وهو علي بن بويه، وكان جنديا استطاع بشجاعته أن يكون قائد جماعة مهاجرة من الديلم، وقد حاولت الخلافة العباسية بكل الوسائل ايقاف الهجرة الديلمية ولكنها كانت قوية بحيث اجتاحت كل شئ امامها. واول محاولة قامت بها الخلافة لايقاف هذا التيار هي تفويض آل سامان آمر المنطقة التي تخرج منها الهجرة، فضمت هذه المنطقة مع اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر الى السامانيين، وقد أفادت هذه الطريقة بعض الشئ وادت الى نتائج مؤقتة، فقد نجح السامانيون في تفويض أركان الدولة الطبرية العلوية بعد حكم الحسن بن زيد وأخيه محمد.وانقطعت سلسلة الائمة الزيديين ابتداء من عام ٢٧٠هـ الى أن قام الحسن الأطروش سنة ٣٠١هـ. ولجأ زعماء العلويين في أثناء هذه المحنة الى داخل بلاد الديلم وظلوا يواصلون الدعوة. وفي أثناء هذه الفترة استطاع آل سامان أن يتحالفوا مع زعماء الديلم، فوقفت الهجرة مقابل أجعال دفعها السامانيون لهم. وتلك طريقة اتبعها كل ممالك العصور الوسطى مع المتبربرين، الا أنها طريقة لا تزيد المتبربرين الا جشعا، ولا تحل الموقف الا بصفة مؤقتة.

فلم تلبث الهجرة الديلمية أن أستؤنفت في أوائل القرن الرابع الهجرىمرة اخرى، وقوى تيارها نتيجة لكثرة دخول الديلم في الاسلام، حتى ظهرت دولة ديلمية أخرى مكان الدولة العلوية، وهي دولة الزيارية. وحاولت الخلافة ان توقف تيار الهجرة مرة اخرى فاتفقت مع مرداويج ابن زيار على ان تقره على ما في يده، وعلى أن تمنحه التقليد بحكم هذه البلاد. وكان الغرض بطبيعة الحال أن تظل العلاقات سليمة بين مرداويج وبين الخلافة، فلا يتعدى أحد الطرفين على الآخر، وتقف بذلك الهجرة الديلمية، لكن الظروف لم تساعد الخلافة على تنفيذ خطتها، وذلك لأن تيارا جديدا قويا من تيارات الهجرة بدأ حوالى سنة ٣١٨-٣٢٠هـ فان مرداويج ما كاد يستقر في اقليمه وينال اعتراف الخلافة، حتى قصده الديلم من كل ناحية، وكثروا حتى ضاقت الأرض بهم، وحتى كان يتدخل لتوزيعهم على النواحى المختلفة، إلى أن خرجت عليه طائفة من طوائف المهاجرين وهي التي كان يقودها علي بن بويه.

كان علي بن بويه قائدا صغيرا من قواد زعيم ديلمى هو "ماكان كالى" وكان ماكان هو ومردوايج وغيرهما من القواد الذين استخدمتهم الدولة الطبرية ومن يتبعونهم من الرجال، فتبعية الجند في هذا النظام لم تكن للدولة ولا لشخص الامام، ولكن للقائد الذي يضمن لهم أرزاقهم. وكانت العادة أن ينتقل هؤلاء الأجناد من خدمة رئيس الى خدمة آخر بحسب الظروف الاقتصادية وبحسب كثرة الغنائم وقلتها. فلما ضعف ماكان أمام مرداويج وعجز نوعا ما عن ضمان الأرزاق للجند تفرق عنه كثير من أصحابه، وكان ممن تفرق عنه علي بن بويه بجماعته، ولجأ الى مرداويج برغم العداء الذي كان بين هذا وبين ماكان فكأنه على بن بويه كان كالمستأمن لمرداويج، فولاء مرداويج ولاية صغيرة في أقصى الجنوب من ممتلكاته وهي ولاية الكرج الواقعة بين همدان وأصبهان.

كان مرداويج حريصا على أن يوزع المهاجرين توزيعا يضمن به طاعتهم، فكان اذا ولاهم لم يبقهم في ولاياتهم مدة طويلة، وكان اذا رأى لديهم مالا كثيرا خصص بعض هذا الدخل لجند جدد، وكان لا يولى واليا الا بعد أن يدير الأمر في فكره مرات ومرات، فلما ولى عليا بن بويه الكرج عاد فوقع تحت وطأة التردد، فأمر بأن يحال بينه وبين الوصول الى الكرج، لولا مصادفة وقعت حالت دون تنفيذ هذا الأمر، تلك المصادفة هي أن عليا حين مر بمدينة الرى أتيح له أن يكرم الوزير أبا عبدالله بن محمد الملقب بابن العميد والد أبى الفضل ابن العميد الذي صار فيما بعد وزيرا لركن الدولة بن بويه- فسهل له هذا الوصول الى ولايته. ثم حاول مرداويج بعد هذا أن يضعف والى الكرج بعض الشئ، فأرسل اليه جندا من المهاجرين يتقاضون ارزاقهم من دخل الولاية، لكن عليا استفاد من هذا، فانه لم يكن طالب مال وانما كان طالب رجال، ولما كان قد تعود ان يعطى كل ما يغنمه للاجناد، فانه أكرم الوافدين عليه حتى صاروا تبعا له.

وهنا حاول مرداويج أن يستقدمهم جميعا اليه ويحولهم الى مكان آخر، فخلف هؤلاء الأجناد على انفسهم، وأيقنوا أن الأمور قد تحرجت بينهم وبين مرداويج. ثم ان مثل هؤلاء الاجناد لم يكونوا ليعملوا عملا الا اذا اتفق مع صوالحهم ولم يكن شأنهم شأن الرعية المستقرة التي تطيع اذا أمرت وهنا بدأ النزاع بين الزيارية وبين اتباع علي بن بويه. وتمثلت خطة علي بن بويه ان يفر الى مكان لا تصل فيه اليه يد مرداويج، وان يدخل في طاعة الخلافة ليكون من خدامها بدلا من أن يخدم مرداويج. ولما علم ان مرداويج يقصده استعد وخرج من الكرج الى اصفهان، واراد واليها محمد بن ياقوت المظفر أن يمنعه، فوقعت بين الطرفين وقعة بظاهر أصفهان عام ٣٢١هـ انتصر فيها علي بن بويه على والى أصفهان، وكان سبب النصر أن جماعة من الديلم يبلغون فيما يقول ابن الاثير ستمائة- انضموا أثناء المعركة الى بني جنسهم أتباع على بن بويه، ووقعت المدينة في يد هؤلاء المهاجرين.

واخذ مرداويج يستعد لاخراجهم، ولم يكن علي ليبقى في أصفهان لان بقاءه فيها يجعله قريبا من مرداويج من ناحية ويسخط الخلافة من ناحية اخرى، لانها كانت حريصة على موقع اصفهان. فذهب علي الى أرجان التي في الجنوب في منتصف الطريق بين أصفهان وشيراز، فاستولى عليها بغير قتال لان صاحبها لم يأيس من نفسه قوة للوقوف أمام جيش هزم والى أصفهان، فانسحب نحو الجنوب ليستطيع الانضمام الى غيره وليستطيع بعد ذلك محاربة بني بويه. توجه علي بن بويه الى مدينة النوبندجان وهي مدينة كبيرة تقع في منتصف الطريق بين أرجان وشيراز. وبعدها توجه الى شيراز الهدف الكبير لعلي بن بويه والتقى جيش علي بن بويه وجيش المدينة عند قنطرة شيراز

ووقعت بينهم موقعة كبيرة اسمها موقعة القنطرة عام ٣٢٢هـ. دخل علي بن بويه مدينة شيراز منتصرا واتخذها قاعدة له. وحين انتصر على جيش ياقوت أحسن الى من وقع في يديه من الاسرى واكرمهم اكراما حملهم على الانضمام اليه، فلم يقبلوا الرجوع الى ال ياقوت. وهكذا حقق علي بن بويه هدفه الاخير وزادت جموعة وبالتالي قوته.

حاول علي بن بويه أن ينظم الأمور المالية، فاستطاع بحزمه أن يستولى على كنوز آل ياقوت الذين كانوا يحكمون شيراز، ونجح في تدبير الأمور المالية تدبيرا حسنا. استطاع علي بن بويه بحنكته السياسية ودوبلماسيته ان يسيطر على الاقاليم التي تقع حوله واخذ بعض الجنود يتفرقون من قادتهم ويلتحقون بعلي بن بويه لحسن تعامله مع الجنود والرعايا. والنتيجة ان عليا بن بويه صار متمكنا من اقليمه معترفا به من الجميع غير متوقع لهجوم عليه، وكان اختياره للمكان الذي بنى فيه قاعدته وكان مكان ممتاز بعيدا عن مراكز القوى الاسلامية المختلفة، واصبح في امكانه أن يوسع قاعدته وأن يجعل من اقليم فارس مركزا لدولة أكبر، تجمع الى اقليم فارس كل الاقاليم ذات العصبية الايرانية التي يمكن ان تنضم الى هذا المركز الجديد. فضم كرمان والاهواز

لم يحاول بعد ذلك أن يتوسع بسرعه، وهو لم يحاول طول حياته أن توصف أعماله بالتسرع، ولا يخطوا خطوة الا بعد أن تمهد لها الظروف والملابسات، فقد استقر بشيراز بعد ان استولى عليها سنة ٣٢٢هـ، ولم يتجه نظره الى ما وراءها الا عام ٣٢٤هـ اذ اتجه الى بلد بعيد عن الخلافة وعن السامانيين حكام المشرق، وعن الزياريين. وهو اقليم كرمان الواقع وراء اقليم فارس من ناحية الشرق. ثم تهيأت الظروف لكي يتدخل في أمر الأهواز عام ٣٢٦هـ فوجه لها جيوشه وملكها، ثم اتجه نحو الشمال نحو املاك الدولة الزيارية فأرسل أخاه الحسن لكى يحتل البلاد التي كانت تحت يد مرداويج بن زيار، ولم تتعجل جيوش الحسن الحوادث بل ظلت تنتهز الفرص الى أن أخذت اقاليم الجبل شيئا فشيئا، والى ان وضعت املاك الزياريين تحت سلطانها على اساس الحلف بين الطرفين.

كانت الحالة في العراق مضطربة أشد الاضطراب في الوقت الذي أخذت فيه الهجرة البويهية تتجه الى الجنوب، وكانت الخلافة واقعة تحت نفوذ القواد الاتراك، وكانت الامور المالية مختلة أشد الاختلال، وخزائن الخلافة خالية، والخلفاء يقعون في ضائقات كبيرة نتيجة لتحكم الأتراك وجشعهم، كما كان الجند يلتفون حول قوادهم الذين يحققون لهم المصالح المادية، وليس للخلافة في واقع الأمر سلطة على هؤلاء الأجناد.... منصب امرة الامراء عجزت عن اقرار الامور في العراق، وعجزت عن حل المشكلة التي كانت تواجه الخلافة نتيجة لوقوعها في نفس الموقف الذي كان قبلها.... احس الناس في العراق بفشل أمرة الامراء واخذ الناس يتطلعون الى القوة الجديدة التي ظهرت قريبا من العراق، واثبتت كفايتها وجدارتها، فكاتب القواد في بغداد أحمد بن بويه الذى كان يحكم اقليم الأهواز منذ فتحها سنة ٣٢٦هـ، وطلبوا اليه المسير اليهم والاستيلاء على هذه المدينة، ونلاحظ أن حزب الديلم في بغداد هو الذي كان بيده الامر بعد أن تغلب توزون على امرة الامراء ثم خلفه ابن شيرزاد.

تقدم أحمد بن بويه الى بغداد، فخرج الاتراك عنها، واستقبله الخليفة المستكفي واحتفى به، وخلع عليه لقب "معز الدولة" ولقب أخاه "عماد الدولة" وأخاه الحسن "ركن الدولة" وامر ان تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم. وبدخول أحمد بن بويه وتوليه امرة الأمراء في بغداد سنة ٣٣٤هـ.

علاقة البويهيين بالخلافة العباسية

خلفاء العصر البويهي هم: المستكفى وقد خلع في نفس السنة لانعدام الثقة بينه وبين أحمد بن بويه. والمطيع وقد حكم ٢٩ سنة (٣٣٤-٣٦٣هـ) والطائع وقد حكم ١٨ سنة (٣٦٣-٣٨١هـ)، والقادر وحكم ٤١سنة (٣٨١-٤٢٢هـ) ثم القادر وقد حضر نهاية العصر البويهي وابتداء العصر السلجوقي.

لم يتغير الخلفاء في هذا العصر بسرعة كما كانوا يغيرون ويخلعون بعد بضع سنين في العصور السابقة، ومعنى هذا أن الخلافة تعرضت مرات أقل لمهزلة الانتخاب الذي كان شكليا، والذي لم يكن يشرف أي خليفة يقع عليه الانتخاب.

ونلاحظ في العصر البويهي شيئا من الاستقرار، فالخلفاء، يحكمون عشرات السنين دون ان يتعرض لهم أحد من ذوى السلطان، ومرد ذلك الى ان امرة الأمراء في العصر البويهي كانت تتحمل كل المسؤلية، على حين بقى الخليفة رمزا لا يتولى من حقيقة السلطان شيئا قابلا لأن ينازعه عليه، فالخليفة لم يكن مسئولا قط عن الخزانة.

ولا عن الادارة المالية، ولا عن الجند ولا عن السياسة، وانما هو الذي يستطيع أن يعطى كل تصرفات البويهيين المالية والعسكرية والسياسية صفتها الشرعية، فالاستقرار اذن كان ناشئا عن وقوف الخلافة موقفا سلبيا، مع أن الناس تعودوا أن يجدوا شخصية الخليفة ايجابية فعالة.

وهذا التحول الذي صارت اليه الخلافة هو الذي أحزن كثيرا من الناس مدفوعين إلى ذلك بدافعين: الأول ديني، وهو النظر الى شخص الخليفة باعتباره من آل البيت الذين يحملون تراث النبوة. والثاني: قانوني فقهي، وهو ان الخليفة رأس الدولة وصاحب الحق في كل التصرف، وفي الجماعات دائما طوائف من الناس تميل الى تأييد الوجهة الشرعية، وهم الذين يرون أن تسير الأمور وفقا للتقاليد والقواعد المقررة القديمة. ولكن مسئولية هذا الوضع لا تقع على ملوك بني بويه، فهم لم يستحدثوا شيئا من النظم، وانما ساروا على سنة انشئت من قبلهم، وحلوا محل أمراء الامراء أمثال ابن رائق وبجكم وتوزون وكل الذي استجد انصب على التلقيب، فقد أصبح أمراء بني بويه يلقبون بالملك أو شاهنشاه.

أكثر المؤرخين يميل الى القول بأن بنى بويه أذلوا الخلفاء بسبب مذهبهم المختلف، وأنهم سلبوهم سلطانهم وجعلوا منهم ألعوبة في أيديهم والحقيقة أن بني بويه ورثوا وضعا قام من قبلهم، ولم يكن لهم يد في هذا التطور الذي صارت اليه أمور الخلافة في بغداد. وجعل بنو بويه للخليفة راتب يومي يأخذه يسمى (مياومة) ولما وجدوا أن ذلك غير عملى لان الاموال قد تتأخر، أضافوا الى المياومة ضياعا كالضياع المستخلصة. ومع ذلك فقد كان الخليفة في بعض الأحيان يصادر فتسلب داره ويؤخذ ما فيها من نفائس. وتصرف الخليفة بالجيوش كان تصورا صوريا. أما الخطبة والسكة، فان القاعدة كانت أن يخطب للخلفاء ولأمير الأمراء معهم على جميع منابرهم.

وللعصر البويهي ميزة أخرى، وهي أن الخلافة في العصر البويهي أفسحت صدرها للمذاهب، فصار الخليفة خليفة للسنة وللشيعة على حد سواء. وهذا الوضع جديد لم يحدث مثله من قبل، فلم يكن أهل السنة أو العباسيون يجيزون للشيعة أن يجهروا بمذهبهم، ولا ان يدعوا له. ومع ان البويهيين كانوا شيعة الا انهم لم يعاملوا أهل السنة معاملة سيئة، بل ان صدرهم اتسع للحرية المذهبية اتساعا كبيرا، وقد أظهروا من سعة الأفق ما كان الصاحب بن عباد خير مثال عليه، فهو يقول في رسائله" وقد كتبت على ترك المنازعة، والجنوح الى الموادعة، فان المهادنة تجمل بين الملتين، فكيف بين النحلتين، والله نسأل توفيقا لأنفسنا ولهم". والبويهيون شيعة من مذهب الزيدية.

==========

المحاضرة التاسعة

التاسعة: العصر البويهى ...(٣٢٠ – ٤٤٧هـ)

عناصر المحاضرة:

* ملاحظات حول حكم البويهيين

* حكام بنى بويه

* أسباب ضعف البويهيين

ملاحظات حول حكم البويهيين

ذكر ملوك بني بويه في هذا العصر أهم من ذكر الخلفاء، فانه لم يكن للخلفاء شأن كبير في تصريف أمور الدولة البويهية، وأن كان نفوذهم الروحي ظل محترما في المشرق خاصة. فقد كان المغرب بيد الفاطميين، وكان بنو أمية في الاندلس لا يدينون بالولاء للخليفة العباسي بل انهم نادوا بخلافة أموية، ولم يكن لهم غير السامانيين والغزنويين وهؤلاء كانوا منصرفين لمهمتهم الثغرية في المشرق.

وأول شئ نلاحظه عندما نذكر بني بويه، هو أنهم كانوا أقل ثقافة من الفرس المستقريين في البلاد التي تغلبوا عليها، ذلك لانهم كانوا في طرف من الاطراف التي كانت خارجة عن العالم الاسلامي، وعن نطاق الحضارة حتى منتصف القرن الثالث الهجري، فهم قوم قريبو عهد بالحياة البدوية، وحديثو عهد بالمدنية.

فلما تم لهم الغلب لم ينسوا تقاليدهم القديمة، واعتبروا البلاد التي تغلبوا عليها ملكا خاصا لهم يرثه الأبناء، وينقسم هذا الملك بمقدار عدد الابناء. وهذه الفكرة غير اسلامية، لم يطبقها العرب على بداوتهم، ولم يعتنقها العالم الاسلامي الا تحت ضغط الغارات البويهية، والسلجوقية فيما بعد. ولهذا لم يلبث الملك البويهي أن تعرض لتقسيمات كثيرة بعد عهد البويهيين الاوائل، وصار صاحب كل قسم يحاول أن يتغلب على القسم الآخر. لكنهم حاولوا ان يتمسكوا بالتوحيد السياسي الاسلامي، وحاول ملوكهم لذلك أن يجمعوا أملاك البيت البويهي كلما قسمها الميراث. ولذلك تعرضت الدولة البويهية لهزات عنيفة بسبب التناقض بين هذين التقليديين.

ونلاحظ كذلك أن مركز الدولة البويهية تغير مرات كثيرة، شيراز، الري، بغداد، ثم عاد الى شيراز، وهذا الانتقال الكثير لمركز الدولة جعلها تتأرجح وعرضها لهزات كثيرة وعنيفة.

حكام بنى بويه

عماد الدولة

أول أمراء بني بويه هو "عماد الدولة" الذي كان بالنسبة لأخوية كالأب، وهو الذي قاد الهجرة الديلمية نحو الجنوب، وكان اخوته كالقواد بالنسبة له. فلما استقر الديلم في شيراز كان عماد الدولة هو الذي ينشئ لاخوته الممالك، فيرسلهم الى نواح يقتحمونها ويملكهم عليها، وكان لذلك يتحمل مسئولية الاخفاق اذا حدث، فهو الذي أصلح أخطاء أخيه معز الدولة في كرمان، وهو الذي انقذه من حبائل البريدي بالاهواز ووجهه آخر الأمر الى بغداد، فكان هو المتصرف في أمور ملكه، وكذلك كان أخوه الذي جاء بعده وهو ركن الدولة يطاع من بقية أفراد البيت البويهي لانه كان من نفس الجيل وكانت تقاليه هي التقاليد الاول. وكان عماد الدولة يتلقب بلقب الملك، كانت الامور مستقرة أيام عماد الدولة مؤسس الأسرة، ولكن من سوء حظ الأسرة أن عماد الدولة لم يعمر أكثر من أربع سنوات بعد الاستيلاء على بغداد، فلم يتح لبنى بويه الوقت الكافي لتنظيم الوضع الجديد تنظيما تاما، وكان يتتميز عماد الدولة بانه كانت خطواته مدروسة ولا يقدم للخطوة جديدة قبل ان يثبت الخطوات السابقة، وتلك الاناة هي التي أفادت الدولة في عصرها الأول وثبتت دعائمها. توفى عماد الدولة سنة ٣٣٨هـ وال الامر الى ركن الدولة.

ركن الدولة

لم ينتقل ركن الدولة الى شيراز عاصمة الدولة، وانما انتقلت الدولة اليه، وتحولت العاصمة من شيراز الى الري، ثم ان ركن الدولة لم يكن في قوة عماد الدولة ولا سطوته، بحيث يقطع على كل مشاغب ميله الى الشغب، بل كان منبع الشغب ابنا له هو عضد الدولة، وهذا الابن كان قد ولى بعد عماد الدولة أمر شيراز، لان عمه لم يرزق ولدا، فاختاره لهذا المنصب. وكان من واجب عضد الدولة أن يستشير أباه ركن الدولة في كل شئ، وأن تكون سياستهما واحدة، الا ان الذي حدث كان غير ذلك، فان عضد الدولة اتجه باطماعه الى بغداد وأراد ان يجمع لنفسه السلطة في اقليم فارس في العراق في وقت واحد. فدس لابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة الذي كان قائما بعد ابيه في بغداد، ولم يكن هذا الدس الا فرصة اختلقها عضد الدولة لكى يرر اطماعه، ولكى يسير الى بغداد ويستولى على السلطان في حاضرة

الخلافة. غير ان ركن الدولة هدد بجمع الجيوش والسير لحربه وعندئذ رجع عضد الدولة وترك ابن عمه بختيار كما هو في بغداد.

ونستطيع القول ان الدولة منذ اللحظة الاولى مالت الى استقلال اجزائها فكان كل جزء من أجزاء الدولة البويهية الثلاثة يميل الى الاستقلال بأمر نفسه. فكان من المنتظر عند موت ركن الدولة أن تتعرض لازمة شديدة، وفعلا وقعت الازمة.

عضد الدولة

مات ركن الدولة سنة ٣٦٦هـ، وآلت رياسة البيت البويهى الى عضد الدولة. وفي السنة التالي لوفاة أبيه سار بجيوشه الى بغداد وحارب ابن عمه بختيار وقتله سنة ٣٦٧هـ. فحقق عضد الدولة ما كان أبوه منعه من تحقيقه. وبقتله بختيار ضمن أن يكون الوارث الوحيد لملك بمى بويه الثلاثة، واجتمعت لذلك رياسة البيت البويهي لعضد الدولة واستقر في بغداد عاصمة الخلافة، وأصبحت عاصمة الخلافة عاصمة أيضا لبنى بويه.استحدثت بعض مراسيم ملوكية لم تكن متبعه أيام معز الدولة ولا عز الدولة بختيار، فالقيت الخطبة وذكر عضد الدولة، وضربت الطبول نوبا ثلاثا على بابه.

كانت الدولة قوية في عهد عضد الدولة لأنه استطاع أن يجمع السلطة كلها في يده بحيث لم يشاركه أحد في السلطان، ولهذا يمكن أن يقارن حكمه بحكم سابقيه، أبيه وعمه من قبل. وازدهرت الدولة في عهدته واستقرت غير ان هذا الاستقرار كان يحمل في طياته بذرة فاسدة هي التي ابتدعها عضد الدولة وهي سنة اعتداء بعض افراد البيت البويهي على بعض. وقدر بعده على أفراد هذا البيت أن يفترقوا أبدا.

جاء بعد جيل عضد الدولة جيل أبنائه الثلاثة: صمصام الدولة، وشرف الدولة، وبهاء الدولة، وتولوا رئاسة الدولة واحدا بعد واحد، وتنازعوا على الملك نزاعا طويلا، حتى آل الأمر الى الاخ الاصغر بهاء الدولة، فاستقرت الامور في أيامه.

ثم كان بعد هذه الاجيال الثلاثة جيل رابع هو جيل بهاء الدولة فانه قد كان من تمكن بهاء الدولة وعلو أمره ما مهد الامر لأولاده فكانت الرياسة في أولاده دون غيره من اخوته. فتولى الملك من بعده اولاده، سلطان الدولة، ومشرف الدولة، وجلال الدولة.

فلما آل الامر الى هذا الجيل الرابع غلب الانقسام فأصبح كل واحد منهم مستقلا بناحيته، بحيث لا يدع للاكبر أو لمن يجب أن يتولى الرياسة رسميا مجالا للتدخل. وهذا الانقسام كان سببا في ضعف الاسرة، فان العراق بلد مضطرب يأكل كل حكامه، فاذا كان صاحب العراق مستقلا كان الجند وكان كبار الولاة أقدر على التحكم فيه، فكانوا يثورون وهم آمنون من ان يأتي مدد من شيراز أو من بلاد الجبل. وفي هذا الجو المضطرب اتجهت النفوس الى شيراز، وكان فيها أحد أبنائه سلطان الدولة وهو ابو كاليجار فانضوى الجميع تحت لوائه، لكنه لم يحكم الا خمس سنين ثم ال الحكم لابنه الملك الرحيم وهو اخر ملوك البويهيين وجاء بعدهم السلاجقة ليبدأ عصرا جديد في تاريخ الدولة العباسية.

مما سبق نرى ان البيت البويهي لم يوجد قاعدة ثابتة لرئاسة الدولة، فاختلف أفراده فيما بينهم اختلافات كثيرة أضاعوا فيها جزءا من حيويتهم ومن نشاطهم، وكانوا في اثناء هذا النزاع الاسرى انما يستجيبون لطبيعتهم البدوية المتبربرة، تلك الطبيعة التي تعتبر الملك ملكا خاصا للملك، له ان يقسمه كيف شاء لا كما تشاء ظروف استقرار الشعوب، فالأرض هنا غير ثابتة، وليست لها حدود معينة، وانما يمتد الملك بقدر قوة المالك وسيوفه وجيشه.

والسبب الاول في ضعف البيت البويهي هو عدم التضامن فكان كل من يؤول اليه جزء من هذا الملك ينزع الى الاستقلال، ويعتبر ما بيده ملكا خاصا موروثا.

والسبب الثاني هو ان ملوك بني بويه ضيقوا على انفسهم افقهم.

*** حكام بنى بويه**

الجيل الأول : (عماد الدولة – ركن الدولة – معز الدولة)

- الجيل الثانى (عضد الدولة)

- الجيل الثالث (ابناء عضد الدولة : صمصام – شرف – بهاء)

- الجيل الرابع (أبناء بهاء الدولة)

==========

المحاضرة العاشرة

العصر السلجوقى ...

عناصر المحاضرة

أصل السلاجقة ونسبهم

الفرق بين الهجرة البويهية والهجرة السلجوقية

مراحل الهجرة السلجوقية

ملاحظات حول سلاطين السلاجقة

العصر السلجوقي

أصل السلاجقة ونسبهم

السلاجقة مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم "الغز" كانت تسكن الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم (بحر آرال) فتنزل بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين وفي الهضاب المحيطة بنهرى سيحون وجيجون. وقد أطلق على هذه القبائل التركية اسم السلاجقة نسبة الى رجل منها تزعمها هو "سلجوق بن دقاق"، ولم يكن لهذه القبائل اسم خاص تعرف به قبل تولى سلجوق هذا رئاستها، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها ووحدها تحت زعامته، ثم قادها ونزل بها أرض الاسلام، فأسلمت معه فنسبت اليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده. وقد قاد أبناء سلجوق الهجرة التركية الى غرب العالم الاسلامي.

والهجرة التركية من الهجرات العالمية الكبيرة التي أثرت في التاريخ الاسلامي، بل أثرت في التاريخ العام تأثيرا كبيرا، ونقطة التحول في حياة هؤلاء الترك، بل نقطة الانطلاق، كانت حين اعتنقوا الاسلام حين وصل الى بلادهم، وباعتناقهم الاسلام انهار الحاجز الذي كان يفصل بينهم وبين الأمة الاسلامية، بل بينهم وبين التاريخ العالمي، فأخذوا يتسربون الى ممالك المسلمين يدخلون في خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها، ويمدون العالم الاسلامي بقوة جديدة ويعطونه حيوية كبيرة. ثم واتتهم الظروف بعد أن دخلوا في المجال الاسلامي فكونوا لأنفسهم دولا وجلسوا على كراسي الملك.

وهكذا رفع الاسلام من قدر الترك، فادخلهم في نطاق التاريخ العالمي، ثم مهدواهم لأنفسهم فيه مكانا عليا، حين جعلوا من الاسلام الراية التي يلتفون حولها، فانعشوا قوة الاسلام في دار الاسلام، ثم مضوا بها قدما يركزونها في

معالم الطريق الذي ساروا فيه في البر والبحر، حتى قدر لهم ان يزيلوا آخر الأمر أكبر دولة غربية كانت تنازل العالم الاسلامي وهي الدولة البيزنطية. وأن يبلغوا بملك الاسلام حتى وسط اوروبا.

الفرق بين الهجرة البويهية والهجرة السلجوقية

والهجرة التركية التي تولى زعامتها بنو سلجوق تشبه الهجرة الديلمية التي تزعمها بنو بويه في نواح وتخالفها في نواحي اخرى. فأما وجه الشبة بين الهجرتين، فهو أن كلتا الهجرتين نفذت على مراحل، وقفت في كل مرحلة منها حتى تثبت أقدامها في المكان الذي وصلت اليه. ثم ان كلا من البويهيين والسلاجقة تطلعوا الى الوصول الى مركز الخلافةالعباسية والسيطرة عليه وحكمة باسم الخلافة، وكلاهما وصل الى غايته، وكلاهما حاول حكم العالم الاسلامي الشرقي كله، فأما البويهيون فلم يستطيعوا تحقيق هذه الغاية، وأما السلاجقة فقد نجحوا، بل امتدت مطامعهم الى اكثر من ذلك. وكلا الطرفين شل يد الخلافة وقام بالحكم المباشر دونها مع اضمار الطاعة لها واظهار الاحترام لخلفائها.

وأما وجه الخلاف بين الهجرتين، فان الهجرة البويهية سارت في فراغ بين قوتين هما قوة الخلافة في العراق وقوة الساماتيين في المشرق، فكان مرورها في الخط الضعيف هينا سهلا، فلم تتعرض لحروب كبيرة، وأما الهجرة السلجوقية فقد اقتحمت مجالا قويا كانت تسيطر عليه قوتان، هما الدولة السامانية، ثم الدولة الغزنوية من بعدها، وقد استطاع السلاجقة أن يحظوا بعطف الدولة الاولى ويتعاونوا معها، أما الثانية فقد صارعوها صراعا شديدا حتى استطاعوا أن يحلوا محلها، ويردوها الى الركن الغربي من المشرق الاسلامي الذي بدأت منه. ثم ان الهجرة البويهية كانت في تقدمها تسير الى غاية تسعى للامن فيها، فكان توقفها في اثناء سيرها توقفا بقصد الراحة فحسب، فلم تستولى على البلاد التي تمر بها، لأنها كانت مطاردة من ورائها بقوة أكبر ولا ترغب هي في قتالها، فكانها من الناحية تعتبر فارة من وجه اعدائها، ولم تتوسع الا بعد ان أمنت، ثم كان توسعها بعد ذلك في مجال ضعيف.

ولكن الهجرة السلجوقية كانت في تقدمها تملك ما تصل اليه يدها من البلاد ملكا تاما، وكانت توقفها في مراحل تقدمها لكى تثبت قدمها فيما ملكت يداها، ولكي ترسم السياسة التي تنتهجها في المرحلة التالية. فلم يكن تقدمها فرارا من وجه خصومها وانما كان غلبة على هؤلاء الخصوم. والهجرة البويهية امتدت الى مجال محدود وركزت جهودها فيه، وأما الهجرة السلجوقية فقد امتدت الى مجال واسع وتطلعت الى غاية كبيرة. وقد رضى البويهيون أن يجعلوا من انفسهم دولة اقليمية، ولم يشاركوا في احداث العالم الاسلامي الخارجية، ومن ثم لم يظفروا باحترام العالم الاسلامي، وظل السلاجقة بعد ذلك يوالون نشاطهم في الثغر الشرقي أول أمرهم الى المجال الخارجي، فشاركوا العالم الاسلامي في اهدافه العامة في المشرق والمغرب على السواء. وقد بدات مشاركتهم للعالم الاسلامي في المشرق منذ دخلوا في الاسلام، فان "سلجوق" نفسه نشط بعد اسلامة الى قتال من وراءه من الترك الكفار وابعد شرهم عن العالم الاسلامي، وظل السلاجقة بعد ذلك يوالون نشاطهم في الثغر الشرقي حين اجتمع المشرق كله في ايديهم.

اما في الغرب فقد توجهوا منذ وصلوا الى الثغر الغربي الى قتال الروم، وصبغوا اعمالهم في هذه الناحية بصبغة الجهاد الديني، وحملوا عن العالم الاسلامي في هذه الثغر الهام عبء الجهاد ، فاقتطعوا من الروم الأناضول وحولوها الى ارض تركية اسلامية، فمهدوا بذلك السبيل للترك العثمانيين للقضاء على دولة الروم والاندفاع في الاراضي والبحار الاوروبية، فكأنهم بذلك حملوا رسالة لم تمتد بطموحها في العصر البويهي الى استعادة سلطانها على المغرب الاسلامي، بل انها كانت تحس بتهديد هذا المغرب لها تحت سلطان الفاطميين. وقد بلغ هذا التهديد مداه عندما وصل الفاطمى الى بغداد نفسها وخطب فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، أما في العصر السلجوقي فان الخلافة طمحت الى استعادة سلطانها على المغرب، فقد قلد الخليفة طغرلبك السلجوقي" جميع ما ولاه الله من بلاده" وخاطب بلقب "ملك المشرق والمغرب" ويدل هذا على ان الخليفة اعترف لطغرلبك بما صار يحت يده من بلاد المشرق وأذن له في أن يستخلص المغرب من يد الفاطميين، وهكذا اتسعت آمال الخلافة بقدوم السلاجقة، كما اتسعت آمال السلاجقة انفسهم الى ان يمتد سلطانهم من بلاد ما وراء النهر الى مصر الغربية.

مراحل الهجرة السلجوقية

اولا: العمل مع السامانيين فى بلاد ماوراء النهر.

بدأت الهجرة التركية الغزية بانحدار هذه القبائل من مساكنها تحت زعامة سلجوق بن دقاق الى بلاد ما وراء النهر في سنة ٢٧٥ هـ وأقاموا بها متعاونين مع الدولة السامانية، يجاهدون من وراءهم من الترك الكفار، ويساعدون السامانيين في حروبهم مع خانات الترك، وفي نزاعهم مع الغزنويين، حتى اذا ما انهارت الدولة السامانية عام ٣٨٩ هـ، دخلت حياة السلاجقة في طور جديد، فقد خشيهم الخانيون في بلاد ما وراء النهر، فأغروا السلطان محمود الغزنوي بهم، فدبر مؤامرة قبض فيها على زعيمهم اسرائيل بن سلجوق ووجوه قومه وزج بهم في أعماق السجون. لكنه بعد ذلك أذن لهم في العبور الى خراسان.وبعبور السلاجقة الى خراسان تبدأ الخطوة الثانية من خطوات الهجرة السلجوقية.

ثانيا: الاصطدام بالغزنويين وقيام الدولة السلجوقية.

وفي هذه المرحلة اصطدم بالدولة الغزنوية اصطداما مباشرا، واستطاعوا التغلب على مسعود بن محمود الغزنوي فاستولوا على كل اقليم خراسان، وأعلنوا قيام دولة السلاجقة، وطلبوا من الخلافة الاعتراف بدولتهم وبطغرلبك سلطانا عليهم سنة ٤٣٢ هـ. وفي هذه المرحلة امتدوا بنفوذهم على كل أقاليم ايران وأزالوا عنها الملك البويهي كما أزالوا عنها الغزنويين، وبرزوا في ثغر الروم، واطلوا على العراق.

ثالثاً: دخول بغداد وإزالة الدولة البويهية.

وكانت المرحلة الثالثة من مراحل الهجرة هي وصول السلاجقة الى العراق ودخول طغرلبك وازالة ملك البويهيين سنة ٤٤٧ هـ، ومن العراق امتد السلاجقة بنفوذهم الى كثير من بلاد الشام. وبذلك كملت الهجرة وامتد السلاجقة من بلاد ما وراء النهر الى سواحل البحر المتوسط فوجدوا العالم الاسلامي الشرقي تحت سلطانهم، كما تطلعوا الى ضم المغرب اليه.

ملاحظات حول سلاطين السلاجقة

كان السلاجقة عنصرا غريبا على البلاد التي دخلوها وغلبوا على الحكم فيها، فهم شعب متبربر بالقياس الى الشعب الايراني المتحضر الذي مارس حياة الاستقرار أزمانا طويلة، والف الحضارة وكان له تراثه الحضاري العظيم. أما السلاجقة –ونعنى بهم العنصر التركي الذي غلب على اسمهم عليه- فانهم لهم يألفوا حياة المدن والاستقرار في مواطنهم الاولى، بل عاشوا حياة قبلية مطبوعة بطابع البداوة من ميل الى التنقل والارتحال، طلبا للرزق وبحثً عن مواطن الكلأ، فلما هاجروا الى العالم الاسلامي المتحضر كانت جذور الحياة القبلية راسخة في أعماق نفوسهم، الامر الذي صبغ دولتهم بهذه الصبغة، وكان له اثر كبير في حاضرهم ومستقبلهم. فقد اعتمد سلاطين السلاجقة على القبائل التركية اعتماد كبيرا، وكونوا من رجالها جيوشهم ولذلك شجعوا هذه القبائل على الوفود الى ايران وغيرها من الاقطار الاسلامية. وتميز السلاجقة بميزات أبرزها:

ملاحظات حول سلاطين السلاجقة

١- غلبة الطابع القبلى من حيث الرياسة وقيادة الجيوش.

٢- قلة ثقافتهم وبروز طبقة الموظفين كالوزراء والحجاب.

٣- غلبة الطابع العسكرى عليهم.

٤- تعصبهم الدينى للمذهب السنى.

٥- اعتقاد أن حكمهم مستمد من الله.

==========

المحاضرة الحادية عشر

مراحل قيام الدولة السلجوقية

عناصر المحاضرة

*** المرحلة الأولى (بلاد ماوراء النهر)**

*** المرحلة الثانية (خراسان)**

*** المرحلة الثالثة (دخول بغداد)**

المرحلة الأولى (بلاد ماوراء النهر)

بدأت هجرة القبائل التركية الغزية من مساكنها في أقصى التركستان في خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية، تحت ضغط ظروف قاهرة، أما لضيق اقتصادي وعجز الموارد الطبيعية عن اقامة هذه القبائل التي تزداد اعدادها، وأما تحت ظروف ضغط قبائل أقوى منها اضطرتها الى التخلى عن مساكنها. وقد اتجهت هذه القبائل المهاجرة نحو الغرب، نحو اقليم ما وراء النهر وخراسان.

دخل سلجوق وجماعته الاسلام على المذهب السني. ثم لم يلبثوا أن تحمسوا للاسلام تحمسا شديدا حتى أخذ سلجوق يغير على ما وراءه من الترك الكفار الذين كانوا يهددون أرض الاسلام، واستطاع القضاء على شرهم.

استطاع سلجوق ان يرضي المسلمين في بلاد ما وراء النهر بما قام به من أعمال ضد الترك الكفار فيما وراء أرض الاسلام، ثم أتيحت له فرصة لارضاء ملوك السامانيين حين استنجدوا به في قتالهم مع الخانيين الطامعين في املاكهم، فارسل لهم النجدات تحت قيادة ولده آرسلان. وكان لهذه المساعدة اثرها الطيب في نفوس السامانيين، فاذنوا لسلجوق وجماعته بالمرور في اراضيهم، والاستقرار بطوائف السلاجقة بالقرب من شاطئ نهر جيحون حيث اتخذ مدينة جند قاعدة له. ثم اخذت القبائل التركية تتوالى على بلاد ما وراء النهر، حتى اكتملت هجرتهم الى هذه الناحية في اواخر القرن الرابع الهجري.

بدأ القرن الخامس والسلاجقة يستقرون في بلاد ماو وراء النهر بعد ان تمت هجرتهم من بلاد التركستان. وكانت الدولة السامانية قد انهارت في عام ٣٨٩هـ، وتوزعت املاكها بين الخانيين والغزنويين. واخذ السلاجقة وقد كثرت اعدادهم يتنقلون في اقليم ما وراء النهر في شبه رحلتين، فيجتمعون في الشتاء حول نور بخارى وفي الصيف حول سمرقند.

واستقرت حياتهم وطاب لهم العيش في مقامهم الجديد، ونمت ثروتهم وزاد عددهم، فبدأوا يستعدون للقيام بدور جديد، بعد ان جهزوا انفسهم بالمال والعتاد، وبعد أن أحسوا بضيق الخانيين بهم، ومحاولاتهم المتكررة للقضاء عليهم واضعافهم. بدأ مركز السلاجقة يتوطد في بلاد ما وراء النهر، وأحبهم الناس لما أظهروه من التمسك بأهداف الدين، والغيرة على الاسلام والتقرب من علماء المسلمين، حتى لقد أحس الخانيون بخطورتهم عليهم، ولما كان هؤلاء

يدركون أنهم لا يقوون على طرد السلاجقة من البلاد، فقد ارسلوا السلطان محمود الغزنوي الذي كان القوة الوحيدة البارزة في المشرق الاسلامي. وكانت تجمعه بالخانيين في ذلك الوقت روابط الصداقة والمصاهرة.

فاظهروا على قوة السلاجقة وصوروا له مقدار الخطورة الكبيرة التي تكمن وراء وجود هذه القوة خلف ظهره، في الوقت الذي يتفرغ هو فيه الى غزواته في الهند. اخذ السلطان محمود الغزنوي يحس بقوة السلاجقة لذلك قرر القضاء عليهم، وبتدخله بدأت صفحة جديدة في سيرة الهجرة السلجوقية، فقد انتقلوا من بلاد ما وراء النهر الى الاقاليم الايرانية، واستطاعوا ان يقيموا لهم دولة، ما لبث ان امتدت على كل أقاليم ايران، ونالت اعتراف الخلافة العباسية بها.

المرحلة الثانية (خراسان)

مات سلجوق بمدينة "جند" وترك اولادا اربعة: اسرائيل، وموسى بيغو،ويونس، وميكائيل. وآلت قيادة السلاجقة الى اسرائيل. ولكن أمر السلاجقة علا من بعده على يد ابنى أخيه ميكائيل وهما: جغرى بيك ابو سليمان داود، وطغرلبك ابو طالب محمد وهو الذي آلت اليه رياسة السلاجقة العامة وقاد نهضتهم الكبرى.

أرسل السلطان محمود الى السلاجقة رسالة يمتدحهم فيها، ويعجب منهم وكيف لا يتصلون به ولا يطلبون منه شيئا. ثم يعرض عليهم عقد ميثاق يؤكد الصداقة والود بينهم، فهو شديد الرغبة في مصادقتهم، لا يستغنى عن معونتهم، وهو لذلك يرغب في أن يقدم عليه جميع الاخوة السلاجقة، فان لم يستطيعوا الحضور جميعا، فليختاروا واحدا منهم يفد اليه. وحدد مكانا للقاء بالقرب من نهر جيحون.

اختار السلاجقة لمقابلة السلطان زعيمهم اسرائيل، وسار هذا الى لقاء محمود في جيش كبير، لكن السلطان كان يدبر في نفسه أمراء، وهو القبض على زعيم السلاجقة ومن معه من الوجوه والقواد. لذلك أرسل الى اسرائيل رسولا يستقبله، ويقول له: " لسنا الآن في حاجة الى الاستمداد بجيشك، وانما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك، فاترك الجيش في مكانه، وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك" وفارق اسرائيل حذره وانخدع بملاطفه السلطان، فترك الجيش وسار في خاصة قواده، واتاح بذلك للسلطان فرصة القبض عليه وعلى قواده والقائهم في غياهب السجنون، ثم أمر السلطان بحمل اسرائيل بعيدا حيث حبسه في احدى قلاع الهند حتى مات سنة ٤٢٢ هـ.

كان لفعل محمود اثره الكبير على السلاجقة وعلى الدولة الغزنوية نفسها. فأما اثره على السلاجقة. فان هذا العمل الذي يتنافى مع تقاليد الشهامة ومع التقاليد الاسلامية، وعلمهم هذا الحادث الحذر والحيطة.فرسموا خطتهم على مصانعة السلطان والمكر به حتى يسمح لهم بالانتقال الى خراسان ليبعدوا عن دسائس الخانيين، ثم اذا وصلوا الى هذا الاقليم وثبتوا اقدامهم، وسعوا الى الانقضاض على الغزنويين والاخذ بالثأر منهم، ثم لتكن خطوتهم بعد ذلك تكوين دولة قوية لهم تخلف الغزنويين في اقليمي خراسان وما وراء النهر، وتضم اليها ما تستطيع ضمه من كل اجزاء ايران. واما اثر هذا العمل على السلطان فانه اعتقد انه كسر شوكة السلاجقة وفل حدهم، ولذلك فارقته الحيطه والحذر، فوقع في كيد السلاجقة الذين اوقعهم من قبل في كيده. واستخدم السلاجقة الحيلة مرة اخرى مع السلطان محمود الغزنوي عندما استئذنوه بالمرور بالاراضي التابعه له الى خراسان سمح لهم محمود الغزنوي بعبور جيحون وفرقهم في نواحي خراسان وفرض عليهم الخراج.

كان انتقال السلاجقة الى خراسان بداية لمرحلة جديدة من مراحل الهجرة السلجوقية، وتعتبر في الحقيقة اهم مراحل الكفاح السلجوقي للقيام بدور بارز في تاريخ العالم الاسلامي. كما كان لهذا الانتقال اثر موجه لمستقبل ايران وما جاورها. فقد اخذ السلاجقة يدعمون قوتهم، وينتشرون في الارجاء المجاورة لهم، وهم بذلك يتحينون الفرص للانقضاض على الدولة الغزنوية واقتلاع جذورها من بلاد خراسان وما وراء النهر. وواتهم الفرصة في سنة ٤٢١ هـ عندما مات السلطان محمود، فأخذوا يوسعون املاكهم وينشرون نفوذهم على الجهات المجاورة لهم، حتى شمل

نفوذهم اكثر جهات خراسان. وادى توسع السلاجقة الى الاصطدام بوالى نيسابور وهي قاعدة الغزنويين في خراسان، فدخلوا معه في حروب طاحنة اضطر فيها الى الاستعانة بقوات السلطان مسعود الذي تولى بعد ابيه محمود، غير ان السلاجقة حققوا نصرا كبيرا على قوات والى نيسابور، ثم على مسعود نفسه بعد ذلك، واضطروا الى عقد صلح معهم. وابدى السلاجقة بعد نظر وحنكة بعد انتصارهم على السلطان مسعود.

واتفقوا مع عقد صلح معهم وتم الصلح بينهم وبين السلطان على ان تعطى الى بيغو وطغرل وداود ولايات "نسا" و"فراوة" و"دهستان" ويعطى لكل واحد منهم خلعه ومنشورا ولواء، وان يقوم القاضي بتسليمهم الخلع نفسه، ويأخذ عليهم الميثاق بالوفاء للسلطان.وان ياتي احدهم بلاط السلطان ليكون في الخدمة. استراح السلاجقة بعد هذا الصلح وأتيحت لهم الفرصة لتقوية مركزهم بعد ان اعترفت بهم الدولة ولاة من قبلها، واخذوا في توسيع رقعه اراضيهم التي ضاقت بهم نظرا لتوارد القبائل التركية عليهم.

تعتبر سنة ٤٢٩ هـ بدء قيام دولة السلاجقة لان طغرل باشر مهامه كسلطان فعلى لهم منذ ذلك التاريخ، وبذلك اصبح للسلاجقة كيان سياسي، ورقعه فسيحه من الارض، وحاكم له الزعامة التي منحها اياه رعاياه، وانتخب رجال البيت السلجوقي طغرلبك رئيسا لهم وسلطانا عليهم، وبذلك استكملت الدولة الشكل ولم يبق الا استكمال الصفة الشرعية بالحصول على موافقة الخليفة العباسي، والواقع ان اعتراف الخليفة لم يكن في ذلك الوقت الا امرا شكليا لاعطاء الدولة صفة شرعية يرضى عنها الناس، ووافق الخليفة على طلب طغرلبك.

ولم يمر اعلان دولة السلاجقة في سهولة، فان السلطان مسعودا ما كاد يسمع باعتلاء طغرلبك عرشه في نيسابور وتلقبه بالسلطان طغرلا الاول، حتى خرج بنفسه على رأس قواته لتأديب السلاجقة، لكن هؤلاء الحقوا به هزيمة حاسمة عند "دندانقان" في عام ٤٣١ هـ، فسيطر السلاجقة على البلاد.

كانت موقعة "دندانقان" موقعة حاسمة في تاريخ السلاجقة والغزنويين على السواء، فانها انهت الصراع بين هاتين القوتين، فلم يعد الغزنويين بعد يفكرون في مهاجمه السلاجقة أو مناواتهم.

بعد نصر السلاجقة بموقعة دندانقان وحدوا صفوفهم واكدوا تعين طغرل الاول قائدا عاما للجيوش، وراي طغرل ان توحيد الكلمة هو الاساس في تحقيق الاهداف. بدأ طغرلبك في عام ٤٣٣ هـ فولة وجه نحو جرجان وطبرستان فاستولى عليها وضم خوارزم الى املاكه عام ٤٣٤ هـ، واستطاع طغرلبك من السيطرة على اجزاء ايران الغربية وسنة ٤٤٢ هـ فتح اصفهان والاجزاء الجنوبية من ايران، وعام ٤٤٦ هـ ضم اذربيجان ومد بحدوده الى بلاد الروم حتى حاصر "ملاذ كرد" وضيق عليها ونهب ما جاورها من البلاد واخربها، وما زال في غزوته حتى بلغ أرزن الروم. وفي سنة ٤٤٦ هـ كان طغرلبك قد فرغ من فتح ايران وبسط نفوذ السلاجقة عليها وعلى بعض البلاد المجاورة لها. وبذلك اطل على العراق، فأخذ يستعد لدخول بغداد واتمام بسط سيطرة السلاجقة على المشرق الاسلامي كله.

المرحلة الثالثة (دخول بغداد)

في الوقت الذي كانت فيه الدولة السلجوقية تتبوأ مقعدها في خراسان، وتقهر الغزنويين وتردهم الى الركن الجنوبي الشرقي من العالم الاسلامي، ثم تتجه غربا لتضم كل اقاليم ايران، كانت الدولة البويهية تتهاوى امام ضربات معاول الهدم التي تتوالى على بنيانها المتداعى، فالخلافات بين رجال البيت البويهي وتمزق الدولة وتبدد قوتها في صراعات أسرية. وكانت آفة البويهيين الى جانب خلافاتهم الاسرية، هي استكثارهم من الاتراك في جيوشهم، وهؤلاء جماعة قد تخدم الدولة في حالة قوتها وحزم ملوكها، ولكنها تكون من اشد الاخطار على كيانها اذا ما دب الضعف فيها. أو اذا تنازع رجال البيت الحاكم فيها بينهم.

وحين اطل السلاجقة بقوتهم على العراق، كان ابو الحارث البساسيري قائد الاتراك يسيطر على بغداد وما جاورها سيطرة تامة، ولم يكن الخليفة، أو الملك البويهي"الملك الرحيم" يملكان شيئا امام قوة هذا القائد وجنوده. والبويهيين

كانوا قد فقدت املاكها في ايران ولم يكن الملك الرحيم على وفاق مع قائد جنده البساسيري ولذلك كان التعاون بينهما منعدم، والخلافة مهدده بالنفوذ الفاطمي. في مثل هذا الجوى المضطرب تختل الامور ويسعى كل لمصلحته. فأما الخليفة فلم تعد له ثقه فيمن حوله. وكانت مصلحته تحتم عليه الاتصال بالقوة الغالبة وبخاصة اذا كانت هذه القوة سنية تحترم الخلافة العباسية وتدين لها بالولاء. وكان هناك صراع بين الوزير ابن المسلمة والقائد البساسيري. واقتنع الطرفين ان الحل بذلك اما بالسلاجقة او بالفاطمين فتشيع كل منهما لجهة من هاتين الجهتين، غير ان الوضع الاستراتيجي للعراق يجعله دائما تحت لاحمة من يملك اقليم الجبال الشمالية، وكان هذا الوضع في يد السلاجقة.

في سنة ٤٤٧ هـ، كانت جيوش السلاجقة على اتم استعداد لدخول العراق، فقد فرغ طغرلبك من اعماله في ضم كل اقاليم ايران، وراي ان يزيل كل وجود للبويهيين، فان احد قواد الديلم هاجم شيراز واستولى عليها وقطع الخطبة فيها للسلطان طغرلبك وخطب باسم الملك الرحيم، فحفز هذا العمل طغرلبك على ازالة كل خطر يأتي من قبل البويهيين، وذلك بازالتهم نهائيا من فارس ومن العراق. لذلك امر طغرلبك قواده بالاستعداد واظهر انه يريد التوجه الى مكة بقصد الحج، واصلاح طريق مكة، والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها. ثم تقدم بقواته عن طريق حلوان، ومن الطريق السهل الذي يوصل بشكل سريع الى قلب العراق.

دخل طغرلبك بغداد واعترف الخليفة به سلطانا على جميع المناطق التي تحت يده. ومع ان الملك البويهي قبل ان يكون تابعا للسلطان السلجوقي، فان هذا لم يشأ أن تبقى الى جانبه أحدا أو تخشى مغبة وجوده، فقبض على الملك الرحيم وسيره الى الري حيث سجن في احدى قلاعها حتى مات سنة ٤٥٠ هـ.

وبدخول طغرلبك بغداد وقبضه على الملك الرحيم، اسدل الستار على الدولة البويهية التي سيطرت على الخلافة العباسية وحكمت باسمها ١١٣سنة، وحلت محلها في السيطرة وفي الحكم باسم الخلافة الدولة السلجوقية، ولكن هذه كانت أوسع رقعة واعظم قوة وابعد من ان تكون دولة اقليمية.

اقام طغرلبك ببغداد ثلاثة عشر شهرا عمل في أثنائها على تدعيم مركز السلاجقة في العراق وتوثيق صلاتهم بالخليفة العباسي، كما عملت الخلافة من جانبها على تقوية الروابط بينها وبين هذه القوة الجديدة. فتزوج الخليفة القائم بأمر الله من " أرسلان خاتون خديجة" ابنة جغرى بك أخى طغرل في سنة ٤٤٨ هـ. فتم بذلك التقرب بين البتين العباسي والسلجوقي. واستقر لذلك نفوذ السلاجقة في بغداد.

مات طغرلبك بعد ان وضع أساسا لدولة السلاجقة، يبسط نفوذها على ايران والعراق، وعلى هذا الاساس استطاع خلفاؤها ان يرفعوا من البناء، وان يقيموا مجد شامخا، وانتهى بدورة دور التأسيس للدولة. وبدأت بعد ذلك تبرز في التاريخ بروزا مرموقا، فوقفت على سواحل البحر المتوسط وأشرفت بذلك على بلاد الروم، وحملت في هذه الناحية عبء الدفاع عن هذا الثغر الاسلامي من ناحية الغرب، كما وقفت على حدود الصين والهند وحملت عبء الدفاع عن الثغر الشرقي، وبذلك ارتبطت بالتاريخ العالمي ارتباطا قويا، وحققت للعالم الاسلامي خدمة كبيرة، كان يقوم بها من قبلها مجموعة من الدول الاسلامية التي ظهرت في كلا المجالين.

==========

المحاضرة الثانية عشر

مظاهر الحكم السلجوقى

عناصر المحاضرة

أهم الظواهر التى ميزت الحكم السلجوقى

استطاع السلاجقة في مدى عشرين سنة من ٤٢٩-٤٤٩ هـ أن ينقلوا دولتهم من دولة اقليمية الى قوة اسلامية كبيرة تسيطر على مشرق العالم الاسلامي، وتحاول ان تمتد بنفوذها الى المغرب الاسلامي، وتحظى باعتراف الخلافة العباسية وبأييدها على ما تملك وعلى ما يمكن أن يقع تحت يدها. ففى سنة ٤٢٩ هـ دخل طغرلبك مدينة نيسابور وجلس على عرش الغزنويين بها ونادى بنفسه سلطانا، وبدأ بذلك قيام الدولة السلجوقية التي ما لبثت أن نالت اعتراف الخلافة، ثم أخذت في التوسع حتى ضمت الى حوزتها كل اقاليم ايران، بل امتدت حتى تاخمت الدولة البيزنطية، بل اخترقت هذه الحدود واقتطعت من أملاك الروم أجزاء أقرت سلطانها فيها. وفي سنة ٤٤٧ هـ دخل طغرلبك بغداد وأنهى الحكم البويهي، ولقبه الخليفة "يمن امير المؤمنين" ثم استتب له الامر في العراق في سنة ٤٤٩ هـ بعد أن قضى على خصوم السلاجقة وخصوم الخلافة بالقضاء على حركة البساسيري، ولقبه الخليفة "ملك المشرق والمغرب"

ومنذ ذلك التاريخ بدأ العصر السلجوقي في حياة الدولة العباسية. والدارس لتاريخ السلاجقة تبدو له مظاهر وجهت الحكم السلجوقي وأثرت في مستقبل الدولة السلجوقية. بل اثرت في مستقبل العالم الاسلامي.

وأول هذه المظاهر أن السلاجقة كانت تغلب عليهم حياة البداوة التي الفوها في موطنهم الأول، وقد أثر ذلك في سلوكهم وفي توجيههم لسياسة الدولة التي شادوها. فالدولة السلجوقية منذ أول أمرها كان طابعها واتجاهها عسكريا محضا، وذلك بسبب اصالتها البدوية وتربيتها الخشنة، وجوارها لجماعات قوية كثيرا ما تحاول القضاء على السلاجقة واستئصال شأفتهم. وقد اعتمدوا في أول تكوينهم على القبائل التركية في الجيش وفي الغزو.

وقد أثرت طبيعتهم البدوية في فكرتهم في معنى الوطن، ففكرة الوطن عند السلاجقة تبدو فكرة عامة، فهم وقد اعتنقوا الاسلام على المذهب السني يرون أن العالم الاسلامي هو الوطن، ولكونهم جماعات بدوية في الأصل تنتقل من مكان الى آخر، فانهم يفضلون الاستقرار في الأماكن الأكثر خصوبة والأفر ماء والأعظم خيرات.ولذلك نراهم يستهدفون تكوين دولة تشمل العالم الاسلامي كله معترفا بها من قبل الخليفة العباسي، ويسعون لاضعاف جميع القوى المناهضة لدولتهم.

وتحقيقا لذلك فان سياستهم تجاه الاقاليم المجاورة لهم اتسمت بسمة الفتح والغلب واعتبروا استيلاءهم على المناطق التي استولوا عليهامن البلاد الاسلامية فتحا، ويتضح هذا من رسالتهم الى الخليفة العباسي بعد استيلائهم على كثير من المدن الايرانية جاء فيها" وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر". كما يتضح كذلك من معاملتهم للملك الرحيم آخر ملوك بني بويه، فقد أعطى طغرلبك العهود بعدم التعرض له وتعهدت الخلافة له بالامان، ولكن طغرل قبض عليه وارسله الى الري حيث سجنه حتى مات.

وهذه المعاملة تكشف عن سياسة السلاجقة العسكرية التي ترمى الى تحطيم مراكز العدو والقضاء عليه، وعدم افساح المجال لأية قوة يحتمل أن تكون مصدرا لعرقلة التدابير العسكرية.

اقام السلاجقة علاقاتهم مع جيران العالم الاسلامي على العداء الصريح، واتجهوا بقوتهم الى فتح البلاد التي تجاور العالم الاسلامي في الغرب والشرق على السواء. وقد وسموا اعمالهم في الجهة الرومية بسمة الجهاد الديني، وفي عصر قوتهم استطاعوا أن يحققوا على البيزنطيين انتصارات رائعة وان يقتطعوا أجزاء هامة من املاك الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى. وكان من الممكن ان يزحزحوا البيزنطيين عن كثير من أراضيهم لو أنهم استمروا في حالة اتحاد وقوة ولكنهم ما لبثوا ان اختلفوا وشغلوا بمنازعتهم الخاصة، وأداروا ظهرهم الى الجبهة الرومية التي استنجدت بأوروبا، فعرضوا العالم الاسلامي الى هجوم غربي كبير لم يتصدوا هم لصده فيما عرف بالحروب الصليبية. كما ان جهادهم لمصلحة الاسلام في الجبهة الشرقية كان واضحا في دخولهم في حظيرة الاسلام.

والظاهرة الثانية، هي ميلهم الى الانفصال واعتبار الملك ميراثا يقسم بين الأبناء، وعلى الرغم من توحدهم في اول الامر والتفافهم حول زعيم واحد، فان ميلهم الى الانفصال منذ اول الامر واضح. وقد كان ملوك السلاجقة يجدون متنفسا لميلهم الى التوسع في الوقت الذي كانت توجد فيه اجزاء من البلاد تحت يد غيرهم، فلما اكتملت سيطرتهم على كل المناطق الايرانية، لم يكن هذا المتنفس موجودا الا في محاولة الاستيلاء على ما في يد بعضهم. ثم لم يلبث الخلاف ان نشب بينهم فزالت وحدتهم تماما بعد انتهاء عصر السلاجقة العظام، وأدى هذا الى ضعفهم جميعا والى زوال الملك السلجوقي كله آخر الامر.

والظاهرة الثالثة، أن السلاجقة لم يتخذوا لهم عاصمة ثابتة تكون مركزا لدولتهم، ومقر للسلطان السلجوقي، شأنهم شأن البويهيين من قبلهم، الا أن البويهيين جعلوا من بغداد أحد مراكزهم، بينما السلاجقة لم يتخذوا مركزا لهم. واختلفت العواصم السلجوقية، فطغرلبك اتخذ مدينة "نيسابور" عاصمة له، بينما حكم "ألب أرسلان" في مدينة "مرو" وحكم "ملكشاه" ومحمود بركيارق في "أصفهان" كما اتخذ السلطان محمد بن محمود مدينة "همدان" عاصمة له. فالسلطان لا ينتقل الى العاصمة الثابتة التي اختيرت لموقعها الاستراتيجي أو لسهولة مواصلاتها أو لتوسطها، وانما تنتقل الدولة الى السلطان حيث يكون وهذا التأريج يكلف الدولة ويقلل من قوتها ويضعف حيويتها.

وظاهرة أخرى وضحت في العصر السلجوقي ولم تكن موجودة في العصر البويهي وهي ظهور شأن الوزارة وعلو مركز الوزارء وفالعيتهم في ادارة الدولة. وقد كانت الوزارة اقل شأنا في العهود التي سبقت السلاجقة.

ومرد ظهور الوزارة هذا الظهور الكبير الى ان السلاجقة، وقد كانوا قليلي حظ من الثقافة، وقد حكموا عالما متحضرا عريقا، رأوا أنه من الضروري أن يعتمدوا على الناصر المثقفة وبخاصة تلك التي كانت في ايران، من أمثال ابي نصر الكندي ونظام الملك وأبنائه من بعده وغيرهم من الشخصيات الفارسية المثقفة والتي تولت المناصب الرفيعة: الوزارة والحجابة والكتابة، وسيطرة بثقافتها على الادارة السلجوقية.

وقد كان النظام الاقطاعي هو الاساس الذي قامت عليه الملكية في عهد السلاجقة، فزعماء السلاجقة كانوا يعتبرون أنفسهم زعماء أقوامهم، ويرون أن حكمهم يمتد حيث ينتشر قومهم، فهو لا يرتبط أو يحدد بساحة معينة من الأرض، وكان لكل قبيلة نصيبها على بطون القبيلة بحسب ما تجرى عليه تقاليد العادة والعرف.

ولما أصبحت ايران قاعدة للسلاجقة تأثر هؤلاء بما عرف عند الفرس الساسانيين من نظام الحكم الاستبدادي. فاعتبر السلاجقة المملكة ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه، وتبعا لذلك أخذ يقطع اراضي تلك المملكة على أقربائه ومؤيديه. والى جانب هذا النوع من الاقطاع وجد اقطاع اخر حربي، وهو اقطاع الجنود اقطاعات تكون بديلا عن الرواتب التي كان يتسلمها الجند في العصور السابقة.وقد قصد السلاجقة بذلك الى الاحتفاظ بجند ثابت قوى، لانهم كانوا يعتمدون على القبائل التركية التي كان من طبيعتها التنقل، كما انهم رأوا ان الاموال قد لا تتوفر للخزانة لسبب من الأسباب، ففرقوا الاقطاعات على الجند، لتتوافر لهم دواعي عمارتها واصلاحها.

وقد ادى هذا النظام الاقطاعي الى الغرض المطلوب منه حينما كانت الدولة قوية، الا أنه لم يلبث أن أدى الى نتيجة عسكية، فان الذين تملكوا الاراضي صاروا يميلون الى الاستغلال واعتبار الاقطاع ملكا وراثيا، واخذوا في الاساءة الى الفلاحين ومعاملتهم بالشدة، كما أن البعض طمع في الاستيلاء على املاك الآخرين مما أدى الى انتشار الفتن واستشراء الظلم والفساد.

ونتيجة لهذا النظام الاقطاعي ظهر نظام الأتابكة وهي امارة يقطعها السلطان السلجوقي لأحد المقربين. وقد كان للسلاجقة مماليك قربوهم وأقطعوهم اقطاعات كبيرة أقاموا بها أتابيكيات لهم. ومن اشهر الاتابكيات أتابكية الموصل، ومؤسس هذه الاتابكية هو "عماد الدين زنكي" وهو من المماليك الاتراك.

وقد كان لهذه الاتابكية أثر كبير في مناهضة الصليبيين. وكان الغرض من انشاء هذه الأتابكيات هو اشراك الأقاليم في حكم الدولة السلجوقية: أي أن الولايات تحكم نفسها بنفسها مع ارتباطها بالمركز في الشئون المهمة والخطيرة، على أن تسير تلك الأتابكيات وفق مصلحة السلجوقية وفي خدمة السلطان الكبير. والذي عمم النظام الاقطاعي بشكل كامل هو "نظام الملك" وزير السلطان ألب آرسلان، وكان يستهدف بذلك ان يخفف الأعباء الادارية والحربية عن الحكومة المركزية، اذ ان الأتابكيات أصبحت مستقلة بتنظيم أحوالها وصد أي اعتداء يقع عليها، كما تستطيع التوسع اذا اقتضت مصلحة الدولة ذلك.

علاقة السلاجقة بالخلافة.

بدأت طيبة في أول الأمر، وكانت الظروف المحيطة بالخلافة وبالسلاجقة على حد سواء تحتم أن تبدأ هذه العلاقة كيبة، فاما الخلافة فقد كانت الظروف المحيطة بها سيئه ومعقده، فالدولة البويهية التي تسيطر على شئون الدولة في العراق أخذت في الانهيار، وفقدت قدرتها على ضبط الأمور ووقع آخر ملوكها "الملك الرحيم" تحت نفوذ القائد التركي البساسيري، الذي وضح اتصاله بأعداء الخلافة "الفاطميين" والذي استولى على الموصل وخطب فيها للفاطميين وانضم اليه ولاة هذه المنطقة وقوادها، ثم ما لبث بعد ذلك أن استطاع أن يدخل بغداد ويخطب فيها للفاطميين. الأمر الذي جعل الخليفة يلجأ الى طغرلبك ويطلب منه القضاء على حركة البساسيري وحماية الخلافة العباسية.

نلاحظ أن العلاقات الودية بين الخلافة والدولة السلجوقية لم تستمر طيبة على طول المدى، فان البيت السلجوقي لم يستمر في قوته واتحاده اذ ما لبث الخلاف أن نشب بين افراده، واتخذت الخلافة موقف المتفرج، وكانت تتأرجح باعترافها بين مراكز القوة فهي تمنح الاعتراف للغالب، ولا يمنع لديها من أن تمنح الاعتراف بالسلطة الاكثر من واحد في وقت واحد. ثم وجدت الخلافة فرصتها حين أصبح الصراع يهدد البيت السلجوقي كله، فنشطت لاستعادة سلطانها وفعاليتها، ووجدت في قيام الدولة الخوارزمية في المشرق وانتصارها على سلاجقة ايران خير معين لها على اكمال القضاء على القوة السلجوقية.

ونلاحظ أن السلاجقة لم يتخذوا من بغداد مركزا من مراكزهم، ولم يبقوا فيها أميرا سلجوقيا يتولى امرة الأمراء كما كان الحال في العصر البويهي، وانما استحدثوا منصبين للاشراف على الامور العسكرية والمدنية، هما: وظيفة "الشحنة" وهي أشبه ما تكون بوظيفة المتصرف أو محافظ المدينة، ويتمتع شاغلها بسلطان بوليسية وادارية وهو مسئول عن ادارة المدينة والمحافظة على امنها واستقرارها، وملاحقة الخارجين على النظام، ومعاقبة المسيئين. ثم وظيفة "العميد" وسلطته أهم من وظيفة الشحنة، اذ هو يشرف على العراق بأجمعه، ويتعاون الشحنة والعميد في ادارة الولاية والوقوف جنبا الى جنب على رأس قوات حربية اذا ما حدث ما يعكر الأمن. ولم يكن قدوم السلاطين أو المسئولين السلاجقة الى بغداد الا بقصد التعرف على الاحوال او التمتع بترف المدينة. واتخذوا من ايران مقرا لهم لأنهم لم يرغبوا فيما يبدو في وجود زعامة منافسة لهم في مقر الحكم.

هذه هي المظاهر العامة للعصر السلجوقي أحطنا بها في ايجاز أما العصر السلجوقي فيمكن تقسيمه إلى قسمين: عصر وحدة السلاجقة، ثم عصر انقسام السلاجقة. والعصر الأول يشمل حكم السلاطين العظام: طغرلبك، وألب أرسلان، وملكشاه. وينتهى بموت السلطان بركيارق سنة ٤٩٨هـ . أما العصر الثاني فيبدأ بموت السلطان الى آخر العصر السلجوقي سنة ٥٩٠هـ.

==========

المحاضرة الثالثة عشر

الثالثة عشر: تاريخ دولة السلاجقة

عناصر المحاضرة

- عصر وحدة السلاجقة

- عصر تفكك السلاجقة

- عصر وحدة السلاجقة (مناقشة ١٤)

يشمل هذا العصر حكم السلاطين العظام من آل سلجوق، وهم: طغرلبك، وألب أرسلان، وملكشاه، وبركيارق، وقد استطاع هؤلاء السلاطين أن يحتفظوا بوحده السلاجقة برغم ما قام حول العرش من خلافات وحروب، وبرغم ما أثير حول منصب الوزارة من منافسات، فانهم بقوة شخصياتهم استطاعوا أن يقروا الوحدة، كما استطاعوا - أن يتجهوا إلى المجال الثغري في المشرق والمغرب، وأن يظهروا بأس العالم الاسلامي في الجبهة الرومية بصفة خاصة. لكن الخلافات التي ثارت حول تولى عرش السلطنة، والمنازعات التي نشبت حولى تولى الوزارة، كانت عميقة متأصلة بحيث استطاعت أن تفرض نفسها على الوحدة السلجوقية وأن تؤدى آخر الامر الى تفكك وحدة السلاجقة، ثم تقضى على ملكهم.

أما علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية، فقد بدأت طيبة في هذا العصر، وزادها قوة ودعما المصاهرات التي تمت بين السلاجقة وبيت الخلافة، لكن هذه العلاقات ما لبثت أن شابها الأكدار في الفترة الاخيرة، حين بدأ للسلاجقة طموح خرج عن مستوى مجرد التعاون مع الخلافة ووصل الى حد فرض القوة على الخليفة وتهديده باخراجه من بغداد، الامر الذي أرخى عقدة الرباط بين البيتين. مما جعل الخليفة فيما بعد يقف موقف المتفرج من الصراع السلجوقي ويتحين الفرص لاعادة قوة الخلافة وفعاليتها. حتى اذا ما سنحت للخلافة هذه الفرصة في عهد تمزق الوحدة السلجوقية وانهيار قوتها في المشرق والمغرب، ضربت الخلافة ضربتها فأكملت اسقط السلاجقة وأعادت نفوذها متعاونه مع قوى جديدة ظهرت في مشرق العالم الاسلامي.

طغرلبك

يعتبر طغرلبك رأس السلاجقة من الوجهة العملية، فهو الذي تولى السلطنة بعد انتصار السلاجقة على مسعود الغزنوي في سنة ٤٢٩ هـ، وتحت زعامته أقام السلاجقة دولتهم التي شملت المشرق الاسلامي والعراق وأطلت على المغرب الاسلامي وعلى حدود الدولة البيزنطية. وهو الذي وضع الأساس المتين لهذه الدولة، فأقام خلفاؤه البناء شامخا من بعده، فدوره في الحقيقة يعتبر دور التأسيس للدولة السلجوقية. وتولى بعده عرش السلاجقة ألب آرسلان.

ألب آرسلان

حين مات طغرلبك، لم يكن له ابن يرث العرش، فبرزت مشكلة ولاية السلطنة بعد وفاته، وأصبحت مثار التنافس بين أفراد البيت السلجوقي.

استطاع الب ارسلان ان يثبت الامر له بعد قتله قتلمش. وكان صراع يجري على تولى الوزارة بين نظام الملك الذي لم يشأ أن يبقى الى جانبة من ينافسه، وبين الكندرى وزير طغرلبك الذى اراد ان يحتفظ بمركزه. على الرغم من ان الكندرى تقرب الى نظام الملك واكد ولاءه للسلطان الجديد، فان نظام الملك خوف السلطان من الكندرى حتى حمله على القبض عليه وسجنه في مدينة نسا، ثم ما زال يغرى السلطان به حتى أمر بقتله.

وقد نجح نظام الملك في التخلص من منافسه، ولكنه أستن بذلك سنة سيئة في عصر السلاجقة، وقد اكتوى بها نظام الملك نفسه، وتحقق ما قاله الكندرى لقاتله منبها لخطر هذه السابقة "قل لنظام الملك: بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان، ومن حفر قليبا وقع فيه".

بعد ان استتب الامر لألب ارسلان ووزيرة نظام الملك بدأ ببناء الدولة قدما على اساس الذي بناه طغرلبك . كان ألب أرسلان قائدا ماهرا، كما كان وزيره نظام الملك سياسيا محنكا بعيد النظر، فرسما خطة العمل على الأساس العسكري والسياسي معا، وذلك بأن يدعما سيطرة السلاجقة على العالم الاسلامي بالاتجاه الى التوسع في البلاد المعادية للاسلام، وهي الاقاليم المسيحية المجاورة لايران كبلاد الارمن وبلاد الروم وهذا سوف يطبع اعمالهم بالطابع الجهادي الديني مما اكسبهم عطف العالم الاسلامي ورضاءه. ضربت القوات السلجوقية القوات الرومية، وأغضبت فتوحات ألب أرسلان امبراطور الروم "رومانوس ديوجينس" الذي قاد في حماس بالغ الى ميدان القتال كل رجل استطاع أن يجنده من الولايات الأوروبية ولآسيوية، وظل ثلاث سنوات متوالية يروح ويجيء في أرمينيا وكبادوكيا محاولا ضرب القوات السلجوقية بدون جدوى، ثم قصد سوريا لضرب القوات الاسلامية، وفعلا ألحق الهزيمة بقوات أمير حلب الذي كان يدين بالولاء للفاطميين، ولكنه لم يستطع تحقيق نصر دائم واضطر الى التراجع.

واتاحت اعمال امبراطور الروم في الشام للسلطان الب ارسلان الفرصة لتحقيق هدف آخر من اهداف السلاجقة وهو القضاء على الخلافة الفاطمية في الشام تمهيدا للقضاء عليها في مصر، فأرسل جيشا بقياده ابنه ملكشاه لفتح بلاد الشام، وحين أحس أمير حلب بقدوم الجيش السلجوقي خلع طاعة الفاطميين وانضم الى السلاجقة وخطب للخليفة العباسي، وبذلك اتقى خطر الغزو السلجوقي لبلاده.

أدرك ال مبراطور الروماني ما يؤمي اليه السلاجقة بحركة مضادة، فقد جمع جيشا جرارا يضم أخلاطا من الشعوب المسيحية، تمثل الروم والفرنسيين واليونانيين والجورجيين، وذرع به آسياالصغرى، وتوغل شرقا حتى عسكر عند "ملاذكرد" الواقعة على الحد الأرمنى بالقرب من مدينة "خلاط" . وبعد مناوشات مع مقدمة الجيش الرومي أدرك السلطان أن من الصعب عليه أن يقاتل مثل هذا الجيش، وبخاصة أنه لم يستطع أن يجمع قواته التي كانت مبعثرة، ففضل أن يطلب الصلح، وأن يؤجل ما عزم عليه من غزو بلاد الروم حتى يكمل استعداده. ولكن امبراطور الروم كان معتدا بقوته ومتلهفا على ضرب السلاجقة، رد على رسول السلطان بأن الصلح لا يتم الا في الى عاصمة السلاجقة.

أزعج السلطان هذا الرد المتكبر من الامبراطور، وألهب في الوقت نفسه حماسه الدينى، فأعلن لجنوده أن الاسلام في خطر واستثار عواطفهم الدينية بما ابداه من تضرع لله حتى لقد نزل عن جواده ومرغ وجهه في التراب خضوعا لله واستمطارا لنصره. وبذلك صبغ عمله بصبغه الجهاد الديني.

وفي حماسه بالغة من كلا الطرفين التحم الجيشان في معركة عاصفة انتهت بسحق الجيش الرومي سحقا تاما، حتى فرشت ساحة القتال بجثث رجاله، ووقع رومانوس نفسه أسيرا في أيدي السلاجقة. وقبل أن يفتدي نفسه بعد أن عقد معه معاهدة مدتها خمسون عاما، تعهد فيها امبراطور الروم بدفع الجزية للسلاجقة، وبان يرسل الى السلطان عساكر الروم حين يطلبها، وبأن يطلق له كل أسير من المسلمين في بلاد الروم.

كانت موقعة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ نقطة تحول في التاريخ الاسلامي بصفة عامة، وتاريخ منطقة غربي آسيا بصفة خاصة. فاما في التاريخ الاسلامي، فان السلاجقة قد واصلوا كفاح العرب ضد الروم. ويسرت موقعة ملاذكرد القضاء على النفوذ الرومي في أكثر اجزاء آسيا الصغرى مما ساعد على القضاء على الدولة البيزنطية نفسها بعد ذلك على أيدي الاتراك العثمانيين.

لم يعش الب ارسلان طويلا بعد انتصاره في ملاذكرد، فقد قتل بعد عام وبضعة أشهر من هذا الفوز العظيم، على يد أحد الثائرين في المشرق، وتولى الحكم بعده ملكشاه.

ملكشاه

كان ملكشاه مع والده في حملته على المشرق. فلما قتل والده جلس على العرش بوصية منه، وكتب السلطان ملكشاه الى الخليفة في بغداد ليصدر له التفويض بالسلطنة وليأمر بذكر اسمه في الخطبة فأجيب الى ما طلب. انتهج ملكشاه نفس سياسة والده وهي بسط نفوذه على جميع انحاء العالم الاسلامي فتم له ما اراد من بسط نفوذه على دمشق وحلب واسيا الصغرى وانطاكية، لكن عندما فتحوا انطاكية وقع خلاف بين افراد البيت السلجوقي اذ بدا التنازع بين سليمان وتتش، فقد حاول كل منهما أن يوسع منطقة نفوذه، ففكر في الاستيلاء على جزء من الاقاليم الخاضعة للآخر. وقد بدأ سليمان بالعدوان، اذ انه بعد أن فتح انطاكية اتجه الى حلب ليضمها لحكمه، غير ان السلطان ملكشاه أحس بخطورة الخلاف بين فروع السلاجقة فتقدم بنفسه الى بلاد الجزيرة والشام، واخضع في طريقه ما صادفه من قلاع كانت لا تزال تحت حكم الروم مثل الرها. وفصل بين الطرفين المتنازعين، فأقر تتش على بلاد الشام، كما أقر أبناء سليمان على بلاد الشام.

حين فرغ ملكشاه من اقرار الأمور في الجزء الغربي من دولته رحل الى بغداد حيث توطدت بينه وبين الخلافة العباسية أواصر الصلة، اذ زوج ابنته الى الخليفة العباسي المقتدى بالله أوائل عام ٤٨٠ هـ. فازداد نفوذ السلاجقة بذلك استقرارا في جميع المناطق التي تحت ايديهم وأصبحت قوتهم أكبر قوة في المشرق الاسلامي.وتوجه الى المشرق الاسلامي ليخضع اقليم ما وراء النهر واستطاع اخضاع هذه المناطق.

بعد ان نجح ملكشاه في اقرار هيبته في جميع اجزاء دولته المترامية الاطراف عاد الى اصفهان، غير ان الاحداث لم تلبث ان تطورت تطورا آخر، فقد أطلت برأسها على مسرح الأحداث في ايران قوة رهيبة، وأخذت تمثل دورا موجها في تاريخ الدولة السلجوقية كان له آثار واضحة فيما بعد، ونعنى بهذا القوة طائفة الاسماعيلية.

والاسماعلية هي احدى الفرق الشيعية.....

دور نظام الملك

الدارس لتاريخ الدولة السلجوقية لا يجد مفرا من الوقوف وقفة طويلة عند الدور الذي قام به نظام الملك على مسرح الدولة السلجوقية، فقد قام نظام الملك بدور كبير الأثر من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية.

فأما من الناحية السياسية: فان نظام الملك بقى وزيراً للسلطان السلجوقي ثلاثين سنة شملت عهد ألب أرسلان وملكشاه سوى ما وزر لألب ارسلان ايام كان على خراسان في عهد طغرلبك، وهي مدة طويلة شهدت معظم بناء الدولة السلجوقية.وكان نظام الملك في خلال هذه المدة الطويلة يعد الاستاذ الأعظم وسيد الوزراء. فكان في يده زمام الامور في دولة السلاجقة المترامية الاطراف، وكان واسع الثقافة عظيم الخبرة. شجع نظام الملك على تعمير المدن واصلاح البلاد، وشيد كثير من المساجد والمدارس، وخلف كثيرا من الابنية والاثار العظيمة في مختلف البلاد وبخاصة في بغداد وأصفهان.

كما كان نظام الملك خيرا عادلا أقر الأمن والنظام في جميع ارجاء ملك السلاجقة فانتعش المجتمع، واتحد أفراده وتماسكوا واتجهوا الى تحقيق اهداف الدولة التي اصبغت بصبغة الجهاد في سبيل الله لنشر الاسلام واعلاء كلمته. وبناء نظام الملك عدد كبير من المدارس وحملت اسمه وعرفت بالمدارس النظامية. وكانت هذه المدارس في الحقيقة مرتبطة بالدعوة المضادة للدعوة الشيعية (مناقشة ١٣)

عصر تفكك السلاجقة

أهم ملامح هذا العصر

تفكك الدولة والصراعات الداخلية

أنتهى عهد بركيارق بانقسام دولة السلاجقة وتفكك وحدتهم، نتيجة للنزاع الذي قام حول العرش السلجوقي، ونتيجة للخصومات التي وقعت بين الوزراء والامراء. يضاف إلى ذلك الأخطار التي هددت كيان الدولة من خارجها وأهمها، قدوم الصليبيين وسيطرتهم على معظم بلاد الشام وتهديدهم للدولة السلجوقية من هذه الناحية. ثم الاسماعيلية الذين كانوا يكمنون في داخل الدولة ويسيطرون على القلاع الحصينة، وعجز الجيوش السلجوقية عن القضاء على قوتهم أو الحد من نشاطهم. ولقد ظلت هذه العوامل تنخر في جسم الدولة حتى أتت عليها آخر الأمر.

وقد حاول السلطان محمد الذي اعتلى العرش بعد موت بركيارق أن يقضى على الفتن المختلفة التي تهدد دولة السلاجقة، فلم يستطع على الرغم مما قام به من جهود صادقة، فان النزعة الانفصالية لدى أمراء السلاجقة كانت أقوى من أن يتغلب عليها جهود السلاطين، لأنهم هم بذاتهم كانوا يشعلون نارها ليصلوا الى العرش، ولم يكن للوصول الى العرش قاعدة ثابتة يمكن السير عليها، فكان كا من يأنس في نفسه القدرة يسعى لفرض سلطانه. ومن ثم كانت تظهر المطامع بعد موت كل سلطان وتشتعل الحروب، حتى يتحقق النصر للأقوى، فاذا ما مات الأقوى اشتعلت الحروب للوصول الى العرش مرة أخرى. ومن ثم ضعفت قوة السلاجقة نتيجة لخلافاتهم الداخلية وانقسام الجيوش بين الامراء المتصارعين، فعزت عن التصدي للأخطار التي تواجهها، ولذلك استفحل أمر الباطنية، كما انتصر الصليبيون، كما برزت على الحدود الشرقية دول فتية استطاعت أن تقهر السلاجقة في المشرق. كما أن الخلافة أخذت تسترد قوتها وفعاليتها في العراق، فعملت على القضاء على السلاجقة في العراق. وفي هذا العصر الذي تلا موت بركيارق، وانقسم السلاجقة الى اقسام ابرزهم سلاجقة خراسان، وسلاجقة العراق

الاسماعيلية:

الاسماعيلية أحدى فرق الشيعة، ويقولون باثبات الامامة الى اسماعيل بن جعفر الصادق، ويرون أنه أحق بالامامة من أخيه موسى الكاظم. ومن أهم مبادئهم ايمانهم بالامامة، لان العقل وحده يقصر عن الوصول الى معرفة الله معرفة حقة، ولذلك يرون أنه لا بد أن يعرف الناس امامهم وأن يبايعوه، ومن أجل ذلك قالوا " أن من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية. وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعه امام مات ميتة جاهلية".

ومن أهم الأسس التي قامت عليها مذهبهم ايمانهم بأن للعقيدة ظاهرا وباطنا. وللتنزيل معان ظاهرة يعرفها الناس وأخرى باطنة يعرفها الامام ولذلك سموا بالباطنية. وانتشر دعاه الاسماعلية في جميع الاقطار الاسلامية ترويج لدعوتهم. وتمكنوا من اقناع بعض الامراء والقبائل والافراد باتباع مذهبهم. وانتشر في ايران. لكن هذا المذهب تلاشى بعد غلبة الغزنويين وضعف كليا بعد ظهور السلاجقة لان السلاجقة تحمسوا للمذهب السني. غير ان النفوذ الاسماعيلي عاد للظهور في عصر ملكشاه، وأصبح قويا مرعبا على يد الحسن بن محمد بن الصباح.

كان من أبرز عمل ينسب الى الاسماعلية في عهد السلطان ملكشاه هو قتلهم لوزيره نظام الملك في شهر رمضان من عام ٤٨٥هـ. والواقع أن مكانة نظام الملك كانت قد تزعزت فسيطروا على مراكز الدولة، ولم يحسنوا معتمدين على قوة شخصية نظام الملك. ولما كان نظام الملك قد تقدمت به السن وأصبح شيخا كبيرا محطما فانه كان في حاجة الى الاسيتعانة بأهله وأتباعه، ولم يكن في مكنته السيطرة عليهم وتقويم معوجهم، الامر الذي جعل السلطان ملكشاه ينفر من نظام الملك ويحاول التخلص منه.

عصر تفكك السلاجقة

أهم ملامح هذا العصر :

١- تفكك الدولة والصراعات الداخلية

٢- ازدياد خطر الاسماعيلية الشيعة

٣- خطر الحملات الصليبية

٤- الصراع مع الخلافة

٥- سقوط الدولة على يد الخوارزميي

==========

المحاضرة الرابعة عشر

سقوط الخلافة العباسية

عناصر المحاضرة

١- أسباب السقوط

٢- حوادث السقوط

٣- نتائج السقوط

أسباب السقوط

توفي الخليفة المستنصر بصورة مفاجئة سنة ٦٤٠هـ ولم يشعر بوفاته سوى بعض الخدم ولذلك لم يعهد بولاية العهد لاحد، ولعله كان يحاول ان يمهد الظروف لاعلان البيعة لاخيه الخفاجي المعروف بشجاعته واقدامه لدرجة ان البعض اعتبره رجل الساعة حيث كان يقول"إن ملكني الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون وانتزع البلاد من التتار" لكن الدودار وقائد الجيش اقبال الشرابي آثروا تولية المستعصم بالله "لما يعلمون من لينه وانقياده ليكون الأمر اليهم فتقلدها واستبدوا بالتدبير" وقد عارضت الاسرة العباسية هذا الاختيار ولكن الحاشية المتآمرة اكرهتهم على البيعة بالتهديد بقطع الميرة والطعام عن الفردوس حيث توجد دورهم. ولذلك بقي آخر خلفاء بني العباس مسلوب الارداة امام حاشيتة القوية التي كانت بدورها تتآمر على بعضها البعض.

عندما سقطت الامارة الخوازمية سنة ٦٢٨هـ، لم تدرك الخلافة العباسية هذا الامر الجلل في الوقت الذي ادراكه غيرهم فهذا صاحب دمشق يقول" سوف ترون غب هذا والله لتكونن هذه الكسرة سببا لدخول التتر بلاد الإسلام، ما كان الخورازمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين ياجوج وماجوج".

الخليفة العباسي المستعصم بالله اخر خلفاء الدولة العباسية كان اضعف الخلفاء عزيمة وأكثرهم تهاوناً بل كانت صفاته ابعد من ان تجعل منه رجل الساعة في الظروف الحالكة التي مرت بها الخلافة.... وشتان بينه وبين مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية في الحزم والشدة والكفاءة. ولعل من مفارقات ما يذكره المؤرخون عنه تعليق صاحب الموصل حين وصله رسولان الاول من هولاكو يطلب الات الحصار العسكرية والثاني من المستعصم يطلب جماعة من مطربي الموصل المشهورين حيث قال" انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام".

اضافة الى بخل المستعصم الشديد بحث ضرب به المثل، وفي رواية تاريخية أن صاحب ميافارقين حين خطب في الناس يحثهم على مقاومة المغول قال من جملة ما قال:"...فإنني والحمد لله لست كالمستعصم عبداً للدينار والدرهم الذي طوح برأسه وبملك بغداد بسبب بخله". وربما كان هذا البخل سبباً في اعراضه عن بناء جيش قوي للخلافة وسبباً في هروب الجند والقادة من جيش الخلافة، والأكثر من هذا كله ضعف عزيمته وتهربه من مسؤولياته تجاه

المسلمين ودار الاسلام فكان كلما ذكر بخطر المغول يقول " إن بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد..".

الجيش لم يحظ بعناية كبيرة من قبل الخليفة في السنوات الاخيرة . ومما زاد في اضطراب الإدارة في بغداد أيام المستعصم الوحشة القائمة بين الوزير ابن العلقمي وقائد الجيش الوديدار الصغير، وقد ادت العداوة هذه الى سيل من الاتهامات المتبادلة، فأتهم الوزير ابن العلقمي قائد الجيش ايبك بالتأمر ضد الخليفة لخلعه وتنصيب الابن الاكبر مكانه، بينما اتهم قائد الجيش الوزير بالخيانة والاتصال بالعدو المغولي ووقعت بسبب ذلك فتن بين الجماعات المؤيدة للطرفين المتنازعين، وقد استغل هذه الفوضى المتصيدون في الماء العكر من مثيري الصراعات المذهبية والطائفية ومن اللصوص والعيارين فزاد الاضطراب وكثر النهب والسلب ووقع العديد من القتلى والجرحى في بغداد.

ومما زاد في الطين بلة التدهور الاقتصادي الذي حل بالعراق في العصور العباسية الاخيرة وعلى الاخص في العقود الاخيرة من تاريخ الخلافة فقد اصابها نكبات متلاحقة من فيضانات مدمرة الى سقوط البرد أو انقطاع المطر أو الجراد الى الهجرة الكبيرة من اطراف بغداد وارياقها ومدنها الى بغداد وسببت هذه المظاهر قلة الانتاج الزراعي والمجاعات وغلاء الاسعار للمواد الغذائية وانتشار الامراض.

سقوط الخلافة العباسية في بغداد

يتفق معظم المؤرخين المحدثين ان سقوط بغداد لم يكن حدثا مفاجئاً بل أنه جزء من خطه مرسومة من قبل المغول للاستيلاء على الجزء الممتد من نهر جيحون الى النيل من دار الاسلام، ولم تكن قوة المغول تلك القوة التي لاتقهر فقد قاست من الهزيمة على يد الخوارزمية أكثر من مرة ولكن الخلافة العباسية وخاصة في عصر المستعصم كانت في أزمة تتمثل في خليفة ضعيف خائر العزيمة وفي قادة منقسمين تتنازعهم الاهواء والمصلحة الشخصية، ولقد بدأ المغول في الاتصال بالخلافة عن طريق الرسل والمراسلات ابتداء من سنة ٦٣٥هـ وحين استقر هولاكو في كش جنوبي غربي سمرقند راسل الخليفة المستعصم سنة ٦٥٣هـ وطالبه بالتعاون معه للقضاء على الاسماعيلية، الا إن الحاشية لم يمكنوا الخليفة من الاتصال بهولاكو وشككوا بنياته، ثم ارسل هولاكو رسالة اخرى سنة ٦٥٥هـ بعد ان قضى على قلاع الإسماعيلية، إلى الخليفة العباسي عاتبه فيها على عدم التعاون وذكره بمصير الخوارزمية والسلاجقة وهدده باحتلال بغداد، ومرة ثانية انقسمت حاشية الخليفة على نفسها ففي الوقت الذي اشار فيه الوزير ابن العلقمي بضرورة بذل الأموال والهدايا لهولاكو اعترض قائد الجيش على ذلك واتهم الوزير بالتقرب من هولاكو.

ولا بد في هذا المجال ان نتطرق الى خيانة ابن العلقمي بسبب اتصاله السري والعلني بالمغول وتشجيعهم على اسقاط الخلافة واجتياح بغداد وتمهيد الطريق لهم بعدم بناء الجيش وتسريح العدد الكبير من المقاتلة وكتم انباء الزحف المغولي على العراق. انقسم المؤرخون القدامي والمحدثون تجاه موقف الوزير ابن العلقمي ففي الوقت الذي يتهمه العديد من المؤرخين بالاتصال بالمغول سرا لقلب الخلافة واسقاطها دافع عنه المؤرخون اخرون واشادوا باخلاصه واستمرار نصحه ووقوفه الى جانب الخليفة.

أما الرعيل الاول من المؤرخين فمنهم ابو شامة الذي يرى بإن التتار استولوا على بغداد بمكيدة دبرت مع وزير الخليفة، أما البونيني البعلبكي فيقول:" وكاتب الوزير ابن العلقمي التتر واطمعهم في البلاد وارسل اليهم غلامه واخاه وسهل عليهم ملك العراق وطلب منهم أن يكون نائبهم في البلاد" اما الذهبي فهو أكثر صراحة حين يقول عن سقوط بغداد:"كل ذلك من عمل الوزير ابن العلقمي الرافضي جهد أن يزيل دولة بني العباس وقيم علويا وأخذ يكاتب التتار ويراسلونه والخليفة غافل لا يطلع على الأمور ولاله حرص على المصلحة". وايد ذلك السيوطي وابن كثير. وهناك رعيل ثاني من المؤرخين منهم ابن الطقطقي الذي اشاد باخلاق لبوزير واخلاصه للخليفة وكذلك المؤرخ رشيد الدين الذي اكد رأي ابن الطقطقي.

وفي بداية محرم من سنة ٦٥٦هـ تحرك هولاكو من همدان باتجاه بغداد. أما الخليفة فأمر قائد جيشه مجاهد الدين ايبك بالخروج بجيش بغداد لمواجهة المغول وقد خرج الجيش بالفعل وعسكر في جهات بعقوبة، ولكن هولاكو خطط للاطباق على بغداد من جميع جهاتها فأرسل جيشا لتطويقها من الجانب الغربي بينما واصل هو زحفه باتجاه الجانب الغربي. ولما سمع قائد الجيش العباسي بعبور مقدمة المغول الى الضفة الغربية لدجلة اسرع فعبر النهر ليقابلهم في شمالي بغداد، وحين خلت الجبهة الشرقية أمر الخليفة بعض القواد لمئلها والتحصن فيها ولكن هؤلاء القادة لم ينفذوا أوامر الخليفة مما سهل وصول جيش هولاكو الى اسوار بغداد من الجهة الشرقية دون عائق يذكر، وفي الجانب الغربي اشتبك جيش الخلافة مع المغول فخسر المعركة وقتل وغرق عدد كبير من المقاتلة المسلمين.

أما هولاكو فقد ترك خانقين متوجها نحو بغداد حيث وصلها في اواسط العام من السنة نفسها وحاصر الجانب الشرقي منها وبدأ القتال في الجانب الشرقي في ٢٢ محرم حيث ركز المغول هجومهم على برج العجمي المجاور لباب الحلبة.

وفي الاول من صفر لم تعد قوات الخليفة تستطيع المقاومة ورغم الوفود التي ارسلها الخليفة لهولاكو فان هذا الاخير كان يصر على خروج الدويدار الصغير قائد الجيش ليأمن انتهاء المقاومة، وقد خرج قائد الجيش اليه في الاول من صفر فأمره باخراج اتباعه خارج الاسوار ففعل. ثم أمر هولاكو الخليفة بالخروج في ٤ صفر فمنذ الامر ثم أمره هولاكو ان يطلب من اهل بغداد القاء اسلحتهم ففعلوا واستجابوا.

وفي اليوم السابع من صفر سنة ٦٥٦هـ دخل جنود هولاكو بغداد واستباحوها نهباً وقتلاً وحرقاً مدة لا تقل عن سبعة ايام، لم يفرق فيها بين الرجال والنساء والاطفال واعلنت بعض البيوت ملاجىء آمنة منها بيوت بعض التجار وبيت ابن العلقمي ودار صاحب الديوان ودار صاحب المال.

واحرقت العديد من القصور والمراقد والمكتبات والمشاهد، ثم امر هولاكو بقتل الخليفة وابنه الاكبر والعديد من أهل بيته وحاشيته، بعد أن اجبره على اخراج كافة أمواله الظاهر منها والمدفون وكانت أموالا طائلة لم يعرف الخليفة كيف يستغلها في وقت الشدة. وترددت شائعات حول كيفية مقتل الخليفة العباسي فمنها من زعم أنه سجن مع ذهبه ومجوهراته في حجرة حتى مات جوعاً وعطشاً ومنا من ادعى أنه قتل جنقاً أو رفساً ومهما كانت الطريقة التي انتهت بها حياة اخر خلفاء بني العباس فالمؤكد انه لم يقتل بالسيف ذلك أن عادة المغول الا يقتلوا أحداً من افراد الاسر الحاكمة بإهدار دمه وأن هذه العادة متأصلة في طقوسهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية.

نتائج السقوط

- انتقال الخلافة العباسية الى مصر (الظاهر بيبرس ٦٥٩هـ).

- انتهاء دور العرب فى الخلافة وانتقالها للعنصر التركى (العثمانيين).

==========